دراسات

أنموذج في العبث بالتراث

الشفاء في بديع الاكتفاء، لشمس الدين النواجي

تحقيق ومراجعة (؟!)

محمود حسن أبو ناجي الشيباني

عبدالله بن سليم الرشيد
كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مقدمة

أصبح ادّعاء تحقيق التراث متجرًا رابحًا، يخوض فيه كل خائض، ويعبث به كل عابث، وإن بعض أولئك المتطفلين على التراث ليحملون شهادات عالية، يتبجّحون بها، فينخدع المشغوف بالتراث بدالاتٍ تسبق أسماءهم، حينما يرغب في اقتناء كتاب يزعمون تحقيقه وإخراجه على الوجه المرْضِيّ.

وقد تجلى لي العبث في التراث في أصرح أشكاله، عندما وقع في يدي كتاب (الشفاء في بديع الاكتفاء) للنواجي الشافعي المتوفى عام ٨٥٩هـ وهو كتاب صغير الحجم، لطيف المحتوى، أفسده ذلك التحقيق المزعوم.

نشر هذا الكتاب في طبعته الأولى عام ١٤٠٣هـ، نشرةً مليئة بالتصحيف والتحريف والعبث، عن نسخة واحدة محفوظة في مكتبة الأسكوريال، ثم نُشر مرة أخرى عام ١٤٠٨هـ، نشرةً تمتلئ بالتحريفات أيضًا، مع أن المحقق قال في مقدمته إنه قارن بين النسخة الأولى ونسخة أخرى في المكتبة الظاهرية، ولكن هذه المقارنة لم تفلح إلا في إصلاح القليل، وبقي الكتاب - مخطوطًا - خير منه - مطبوعًا -.

وحين عزمت على كتابة هذا النقد، فزعت إلى مخطوطة ثالثة للكتاب، محفوظة في مكتبة عارف حكمة بالمدينة المنورة (برقم ٢٢١ مجاميع)، وفي المكتبة المركزية بجامعة الملك سعود مصورة فلمية لها برقم (ف ٣٣ مد) وهي في ثماني عشرة ورقة، ومسطرتها واحد وعشرون سطرًا، وتاريخ الفراغ من نسخها عام ٩٧٨هـ، فهي أقدم من النسخة التي اعتمدها المحقق، على أن بينهما اختلافًا، إذ ترد في كل منهما أبيات لا ترد في الأخرى.

وأعود إلى الكتاب المطبوع، فأقول: إن الناظر فيه ليعلم علم اليقين أن محققه لا يعرف أبجديات فن التحقيق وإخراج التراث، فهو يتصرف في النص، ويزيد فيه ويحذف منه، وسوف يتجلّى للقارئ الكريم صدق هذا الحكم حينما يطّلع على ما سأذكره من طوامّ، ارتُكِبَتْ باسم خدمة العلم، والله المستعان.

١- ادّعاء وكذب صُراح:

قال المحقق (؟) في مقدمته، عندما ذكر عمله في المخطوطة: «قمت بتخريج الأحاديث النبوية...» قلت: لم يرد في الكتاب أي حديث شريف!!

ثم قال: «عرّفت بالأماكن...» قلت: لم يُعرّف إلا بثلاثة مواضع، كلها مشهور لا داعي لتعريفه، وهي (مكة ومنى وعكاظ).

ثم أضاف: «عرّفت بالكتب التي وردت في المخطوطة قدر المستطاع» قلت: لم يتكرّم المحقق بتعريف أي كتاب، فكيف ساغ له هذا الادعاء ؟!

وفي الطبعة الثانية عام ١٤٠٨هـ أضاف لعمله المكذوب، قوله: «فسرت بعض الآيات القرآنية» مع أنه لم يفسّر منها حرفًا واحدًا.

وقد زعم أيضًا أنه نسب أبيات الشعر إلى قائليها، قلت: لم ينسب إلا بيتًا واحدًا لدريد بن الصمة، أما بقية الأبيات التي زعم أنه ينسبها، فإليك بيانها:

قال النواجي بعد أن أورد هذا البيت:

والله لا خطر السلو بخاطري
مادمت في قيد الحياة ولا إذا

قال: «أما البيت فللصاحب جمال الدين بن مطروح» ثم جاء المحقق الكبير فقال في الحاشية (ص ٣٧ من طبعة ١٤٠٨): قائل هذا البيت جمال الدين بن مطروح. قلت: هكذا يكون النصبُ في التحقيق!

– وفي ص ٣٨ من الطبعة نفسها كتب نثرًا للحريري على هيئة الشعر، ثم قال في الحاشية: قائل هذا البيت الحريري. قلت: كيف يجرؤ من لا يفرق بين الشعر والنثر على التصدي لتحقيق كتاب؟!

– وفي ص٥٤ من الطبعة نفسها جاء في المتن قول المؤلف: «ومنه ما كتبتُ به على كتابي المسمى بـ "مراتع الغزلان..." ثم أورد بيتين» فجاء المحقق بالفتح العظيم حين قال في الحاشية: «القائل صاحب المخطوطة» لا فض فوك!

إنني أكتب، وأنا أحاول جاهدًا كبح جماح قلمي عن تسطير كلمة يمليها الغضب لهذا التراث المباح لأمثال هذا العابث، وإلا فإن كل صفحة من الكتاب تشير بأن الذي سمّى نفسه محققًا، ما إلا ناسخٌ رديء النسخ، وإن شئت فقل ماسخ، وليته إذ فعل ما فعل، جاء بلبوس المتواضعين، وأظهر لهجة صدق واعتذار، إذًا لكان له في المعاذير مندوحة، ولكنه أبى إل ادعاءً في الطبعة الأولى، فزعم أن مراجع التحقيق أربعة وأربعون كتابًا، ثم لم تُرضه هذه الكذبة، فجعل المصادر والمراجع في الطبعة الثانية ٣٨٥ كتابًا.

وقد يقول قائل: ذلك جائز، وربما دعاه إليه الحرص على إتقان التحقيق. أقول: يحق لنا أن نُجيل هذا الاحتمال في أذهاننا، لو لم يكن في ضمن المصادر كتب لا علاقة لها بالنص المحقق لا من بعيد ولا من قريب، وقد قرأت الكتاب أكثر من عشر مرات فلم أجد ما يدعو إلى الرجوع إلى مثل كتاب: «تاريخ إفريقية والمغرب»، أو كتاب «المؤنس في تاريخ إفريقيا وتونس»، أو «قاموس الملابس».

بل إن زعمه أن بعض تلك الكتب من مراجعه، يكذّبه كلامه هو في بعض تعليقاته.

فقد قال مثلاً معلقًا على بيت لكشاجم: «والبيت لم أجده في كتب الأدب» مع أنه يذكر ديوان كشاجم ضمن مصادره! وهبْه لم يجد البيت في الديوان المطبوع، لقدكان الأولى أن يقول: لم يتسنّ لي تخريج البيت، وهو غير موجود في ديوانه.

وفي موضع آخر يردُ هذا البيت:

فجئت قبورهم بدوا ولما
فناديت القبور فلم تجبنا

وصوابه (بدءًا)، ولو صدق المحقق في زعمه أن لسان العرب وخزانة الأدب كانا من مراجعه، لبان له التصحيف.

٢– جرى محققو التراث على نهج مَرْضِيٍّ، يعرِّفون فيه بالمؤلف ويعرضون فيه شخصيته وعصره وآثاره، استنباطًا مما يرد عنه في كتب التراجم أو في كتب التاريخ، أو في كتبه الأخرى. غير أن «أبا ناجي» لم يكلف نفسه شيئًا، إلا نقلَ ترجمة المؤلف برمتها من كتاب «الضوء اللامع»، وهذا مخالف للمنهج العلمي الذي يدرّسه لطلابه في الجامعة!

٣– التصرف في النص:

وهو أمر يفضي بالمحقق إلى الخروج «عن سبيل الأمانة العلمية ولا سيما التغيير الذي ليس وراءه إلا تحسين الأسلوب أو تنميق العبارة، أو رفع مستواها في نظر المحقق» (انظر: تحقيق النصوص لهارون ٧٩)

وقد ركب المحقق هذا المركب الخطر، فأجاز لنفسه التغيير في النص، وإليك الأمثلة:

– جاء في المتن قول المؤلف: «سواء اتفق معناهما ... أم اختلف» قال المحقق في الحاشية: «وينبغي أن يقال بدل إذا في الجملة كلمة أم للمساواة». لقد عدّل الكلمة في المتن، ثم جاء يعلق على أمر لا وجود له.

– ووقع طمس في المخطوط، فبدلاً من أن يضع مكانه نقاطًا، ويشير إليه في الهامش، جعل الإشارة في المتن، فجاء النص مشوّهًا هكذا (ص٦٤ من طبعة ١٤٠٣هـ):

[ابن أبي حجلة في فانوس مضمنا (كلام غير موجود بتاتًا)]

– وفي ص٩٥ من الطبعة نفسها، تمثل المؤلف هذا الشطر:

وكل يدّعي وصلا بليلى

فجاء المحقق بالعجز، وأثبته في المتن، ثم قال في الهامش: «تكملة الشطر الثاني من المحقق، وقد ورد الصدر فقط»!

٤– التصحيف والتحريف:

وقد قيدت منه الكثير (في طبعة ١٤٠٣هـ)، ثم لما اطلعت على الطبعة الثانية، رأيته عدل بعضها، فآثرت عدم ذكرها؛ جنوحًا إلى الاختصار، واكتفاء بكونه أقام عوجها، إلا ما أرى أن في ذكره دليلاً على فساد التحقيق المزعوم.

– في ص١٩ (وحيثما أغفلت ذكر الطبعة فأنا أعني طبعة ١٤٠٣هـ) جاء قوله:

وكلما أبصرته عيني أدب

أراح بذاك الدرّ مكتفياً

وصوابه من المخطوطة التي بين يديّ (وقل ما)، وسوف أكتفي عن ذكر هذه المخطوطة، بأن أرمز لها بحرف (خ).

– في ص٢٤ قال: (فإن ذلك لا ينطبق عليه حد الاكتفاء، بل هو قريب منه) وصوابه من (خ): (بل ولا هو...)

– في ص ٢٥ قال: (ويتغاضى ذكره) بالغين، وصوابه من (خ): (يتقاضى) بالقاف.

– في ص ٢٦ جاء قوله: (وفي شرح القاضي الفاضل في قوله:

وقد صدق والله المتنبي عليك إذ يقول:

إنك الرجل الذي يضرب به الأمثال

والكذب الذي لا يقال معه)

وصوابه من خ : (وقد صدّق اللهُ المثنيَ عليك..) (لا يقال معه أي الرجال) وبيّن أن الكلام نثر لا شعر، ولكن المحقق صحّف الكلمة إلى المتنبي، فكتب النثر شعرًا ثم ترجم للمتنبي في الهامش، وقد عدّل النص في الطبعة الثانية، ولكنه زاد ضغثًا على إبّالة حين ظن أن كلمة (المثنِي) عَلَمٌ مخصوص، فقال في الحاشية (ص ٣٨): (المثني لم أجد ترجمته في كتب التراجم)، وزاد أن جعل آخر النص وهو (أي الرجال) في بداية الفقرة التي تليها.

– وفي الصفحة نفسها: (وتقييده مما لا يليق) وصوابه في خ (بما).

– وفي ص ٣٢ جاء قوله: (أي أن المكتوب هذا اللفظ) والصواب من خ (هذا اللفظ).

– وفي ص ٣٣ جاء قول الشاعر:

فجئتُ قبورهم بدوا ولمّا

فناديت القبور فلم تجبنا

ولم يرد في خ، وصوابه في خزانة الأدب للبغدادي (١٠ – ١١٣):

فجئت قبورهم بدءاً ....

.... فلم يجِبْنَهْ

وفي الصفحة نفسها:

ثنيانا إن أتاهم كان بدوهم

وبدوهم إن أتانا كان ثُنيانا

وصواب البيت من اللسان (مادة بدأ):

ثنياننا ...... بدأهم

وبدأهم ....

– وفي ص ٣٤ جاء قول بعضهم:

ألا يا حبذا أطلال ليلى على البلى

ومن بذلت لي من نوال وإن قلا

وصوابه في خ:

ألا حبذا ....

وما نبذت لي ....

وفي ص٣٥ جاء ما يلي:

وقول ابن سابة:

أذكر بعذالها فاسكر من ورد

خديها فارتع في

وجُل هذه الكلمات مصحّف، وقد عُدّل بعضها في الطبعة الثانية، ولكن البيت بقي مختلاً.

والصواب ما يلي (من خ):

وقول ابن نُباتة:

أذكر ثغراً لها فأسدَ من

وورد خدٍّ لها فأرتع في

وقد أعاد المؤلف البيت في موضع آخر، وزيد عليه في خ: (أي أسكر من خمر، وأرتع في روض).

وكما ترى، صُحِّف (ابن نباتة) إلى (ابن سابة)، فجاء المحقق في طبعته الثانية بأبدةٍ جرّها عليه التصحيف، فقال: (ابن سابة: لم أجد ترجمة له في كتب التراجم). وهكذا يصنع الجهل والتعالم!

– وفي ص ٣٨ جاء ما يلي:

إلا في قول لبيد : (درس المنا)

وفي ص ٤٩ من الطبعة الثانية أتم الشطر، ولكنه جاء هكذا:

(درس المنا ـــ بم فأتان)

وصحة الشطر: درس المنا بمتالعٍ فأبان

– وفي ص ٣٩:

(في قول أبي الفنح قابوس: إذا طلبت وصلة كفى بالدمع شا) وهو بيت، صوابه من الكتاب نفسه ص ٨٥:

إذا طلبت وصله

قال يالدمع شا — هد

– وفي الصفحة نفسها قال: (وأما الدليل الذي دلّ عليه فكذا حذف الهاء والدال).

قلت: لعل صوابه: (وما الدليل الذي دلّ عليه؟ وكذا حذف الهاء...)

– وفي ص ٤٧ جاء قوله: (ولم يعرف المتقدمون سواه في ذلك قول أبي الطيب)

وصوابه من خ: (ولم يعرف المتقدمون سواه. فمن ذلك...)

– وفي ص ٤٨ جاء قول عمر بن أبي ربيعة:

أنا في باب القصر في بعض ما

وفي الطبعة الثانية: أنا في القصر في بعض ما

والصواب من خ : أنا بباب القصر... (وهي هكذا في ديوانه ٢٠٤)

– وفي ص ٤٩ قال ابن حجة:

غصنُ هذا مثمر بالحسن واعجبي

وهو الذي لثمار الصبر قد قطفا

وصدره مكسور.

– وفي ص ٥١ جاء قوله: (أصلح الله أمير المؤمنين إن رأى أن يعطيني حق جنايته على شرب الخمر لمن يريد فليفعل).

وكان حق الجملة أن تكتب هكذا: (أن يعطيني حق جنايته عليَّ: شُرْبَ الخمر لمن يريد، فليفعل)

– وفي ص ٥٢ قال بعضهم:

قم فاسقني بسلافةٍ متداركاً

دمعي فقلبي بالهموم على شفا

والمعنى مستقيم، غير أن رواية البيت في خ هكذا:

قـم فاسقني بسلافها متداركاً

رمقـــــي...

– وفي الصفحة نفسها جاء هذا البيت:

وطرف محلى عن شفائي مقامهِ

فهلا صابر بات منه على شفا

وعُدّل في الطبعة الثانية:

وطرف محلّىً هم سقامي

فهلا شفى من بات منه على شفا

– وفي الصفحة نفسها جاء قوله:

إن شاء قلبي النومَ منها هجرها

وهو غير موجود في خ، وفي الطبعة الثانية عدّلت كلمة (النوم) إلى (اليوم)، ولكن المعنى مازال مضطربا، ولعل الصواب أن يكون هكذا:

إن شاء قلبي اليومَ منها هجرها

فلأطمعن بالوصل منها مي عد

– وفي ص ٥٤ قال بعضهم:

قام بكأس الراح لي خدمةً

وقال لي سرّك ذاك؟ قلت: لا

وهو ليس في خ، ولعل الصواب: سرّك ذا؟ قلت لا.

– وفي الصفحة نفسها قال ابن سناء الملك:

رأيت طرفك يوم البين حين همى

والدمع لغز وكحْلُ الجفون لمى

وعجزه مكسور، وصحته من خ: [والدمع ثغر وتكحيل...

– وفيها أيضًا، جاء قول الآخر:

أما لقدٍ من ما ... سبيبة مرتو

فيا حضرة ... سوق لمَ تشتكي الظما

وصحته من خ:

أما القدٍّ من ما ... شبيبة مرتوٍ

فيا خَصْر ... مشوقَ لمَ تشتكي الظما

– وفيها أيضًا جاء هذا الشعر المتداخل المضطرب، وهو:

قال لي: ريق ش

قلت ذا من فيك أحلى

ما يرى وارده

يز ... لا عبرة مكتفيا مقتبسا

اختياري ألا أف ... مغناك

ولا أسعى سواه محلا

ولقد شئت لو ... الدهر

علمته وما تساوي إلا

وجه يفوق الهلا ... سنا

ويخجل البدر أن تحلا

يقول في الحال ... رآه

أشهد أن لا إله إلا

إن نشر كتاب فيه شعر مضطرب على هذا الشكل، عبث بعقل القارئ وإن كان المحقق يظن أن هذا الكلام من قصيدة واحدة، كما توحي بذلك طريقة كتابته، فاقرأ على التحقيق السلام، ولقد ظل هذا التحريف العجيب على حاله في الطبعة الثانية مع تعديل قليل.

والكتابة الصحيحة لتلك الأبيات تكون على هذا النحو:

السراج الورّاق:

قال لي: ريقي ...

قلت: ذا من فيك أحلى

ما يرى وارده ...

ـأن ما يزداد إلا

غيره مكتفيا مقتبسا:

اختياري أن لا أفارق مغنا

كَ ولا أبتغي سواه محلا

ولقد شئت ذاك لو ساعد الدهـ..

ـر عليه، وما تشاؤون إلا

وقال غيره: (وهو غير موجود في خ)

وجه يفوق الهلال حسنا

ويخجل البدر أن يحُلا

يقول في الحال من رآه

أشهد أن لا إله إلا

فتأمل – أيها القارئ الكريم – كيف يصنع العابثون بتراثنا؟! ولم ينته بعد ما في الجعبة، ففي ص٥٥ جاء مايلي:

ولبعض الشعراء في مطلع قصيدة «أهلا بطيفكم وسهلا»:

لو كنت للإعفاء أهلا

وقد حلف المها على أن لا

....

راموا عظامي عن هوى

عذبنه كهلا وطفلا

وهي أبيات مضطربة محرفة، وقال المحقق في حاشية الطبعة الثانية: (لم أعثر على قائل هذه الأبيات).

قلت: كيف لم تعثر على القائل، وأنت تزعم (معاهد التنصيص للعباسي) من مصادرك؟! فقد نَسبَ العباسيّ هذه الأبيات لشيخ الشيوخ الأنصاري (معاهد التنصيص ٤ / ٢٤٧).

وانظر الآن – أيها القارئ الكريم – في الأبيات بعد كتابتها على الوجه الصحيح (من خ):

أهـلا بطيفكم وسهـلا

لـو كنت للإغفاء أهلا

لكنـه وافى ، وقـد

حلف السهـاد عليَّ ألاّ

....

رامـوا فطامي عـن ...
...يته كهـلا وطفـلا

– وفي ص ٥٦ جاء هذا البيت:

قد ضنّ بالسلام علي
وقد مـ...ان يمنحني الوصلا

وفي الطبعة الثانية أصبح هكذا:

وقد ضنّ حِبّي بالسلا...
وقدماً ... يمنحني الوصلا

ولا يزال مختلا، ولم يتسنّ لي تخريجه، غير أني أظن النقص في الصدر، والبيت هكذا:

وقد ضنّ حبي بالسلا...
عليّ وقدما ...ان يمنحني الوصلا

– وفي الصفحة نفسها:

ولقد كملت فما يقـ... ...قده
حسـ... الجمـال جميعه إلا

وفي الطبعة الثانية: فما يقال لقَدّ

والصواب من خ: فما يقال : لقَدْ

وفي ص ٥٧ قال بعضهم:

إنـك مـن هجـا ...
...سانه بزحـاف

وفي الطبعة الثانية:

إنّ مـن هجـا لك ...را
أو...سانه بزحـاف

والبيت ليس في خ، وواضح أن في صدره خللاً، ولم يتوجّه لي معرفة صوابه.

– وفي ص ٥٧ جاءت ثلاثة أبيات محرفة تحريفًا عجيبًا، وهي قوله:

أي آساد عرين نظر...
...سبتها أي غزال وأيّ
صادني منها عزيز أ...
...يه ما يشغل عند ويّ
قد أضنيت جسمي
قال: قد . قلت : كي
يذهب روحـــي
قـــال : ... لي

وظل هذا التحريف باقيًا في الطبعة الثانية مع تعديل قليل، والأبيات ليست في خ، ولعل صواب كتابتها بعد الاستفادة من التعديل في الطبعة الثانية:

أي آساد عرين نظرت
فسبتها أي غزلان وأيّ
صادني منها غرير أغيد
فيه ما يشغل عن هند ومَيّ
قلت: قد أضنيت جسمي ، قال: قد .
قلت : كي تذهب روحي؟ قال : كيْ

– وفي ص ٥٨ قال مجدالدين بن مكناس (والصواب مكانس):

يا عذولي في فؤادي منك كيّ
وبذلت الروح والعصيان لي

وصحة البيت (من جنى الجناس/ ١١٨):

....
وبذلت الروح للعصيان كيّ

– وفي الصفحة نفسها جاء قول الشاب الظريف:

رأى رضابا عن تسليه
أولو العشق سلوا
ما ذاقه وشاقه هذا
وما كيف ولو

وبقي الخطأ في الطبعة الثانية، مع زيادة خطأ آخر في ضبط كلمة (سلَوا) فقد ضبطت (سلّو)، وصواب كتابة البيتين (من خ):

رأى رضابا عن تسلـ...
...يه أولو العشق سلَوْا
ما ذاقه وشاقه
هذا وما ؟ كيف ولو

وفي ص ٥٩ جاء قول بعضهم:

هيهات ما قد فات ليس براجع
أترى تعود ليالينا التي

وليس في خ ، ولعل الصواب:

أترى تعود لنا ليالينا التي

- وفي ص ٦٠ جاء هذا البيت:

فقال أيذكر عني ... ملك

و... ما شيا إن الملوك إذا

والصواب من خ:

فقال: تذكر عني ... ملك

و... ناسيا أن الملوك إذا

- وفي ص ٦١ جاء هذان البيتان، وفيهما تورية باسم (علي):

محب قد براه ... حتى

غدا يكابده عليلا

إذا طلب الوصا... كي يداوي

يقول لي علي لا

وفي الطبعة الثانية، صُحّح البيت الأول هكذا (كما في خ): غدا مما يكابده عليلا

أما عجز البيت الثاني، فقد أصبح هكذا:

يقول لي علي لا علي لا

وموضعه في خ بياض.

وصحة هذا البيت (من جنى الجناس ١٥٤):

إذا طلب الوصا... كي يداوي

...شاشته يقول له علي: لا

- وفي ص ٦١ قال:

يلوم على حبه ...لون

...لا سمع العذّال فيه ولا

ولم يرد البيت في خ، ولعل الصواب: العَذْلَ.

- وفي ص ٦٢ جاء ما يلي:

غيره فإذا المنية

فسوف تصادفه أينما

وصواب الكتابة:

غيره:

فإن المنية من ...

فسوف تصادفه أينما

وهو بيت مشهور، ولكن المحقق كتب البيت كما رأيت، أما في طبعته الثانية، فقد جعله هكذا:

غيره:

فإذا المنية .....

فسوف تصادفه أينما

وقال في الهامش: يوجد فراغ في المكان الخالي (!!)

- وفي ص ٦٢:

يا من إذا أتاه

أهل المودّة أو لم

والصواب من خ: يا من إذا ما أتاه .....

- وفي ص ٦٣ جاء قول شيخ الشيوخ الأنصاري:

صلي ودعي بعادك عن محب

يذكرُك أنس والليل ساكن

فما إن شبت من كبرٍ ولكن

وصواب عجز البيت الأول من (خ): يذكرك أنسٌ والليل ساكن.

كما سقط صدر البيت الثاني وهو (من خ):

ولا تستقبحي شيبا برأسي

فما إن شبت ....

- وفي الصفحة نفسها جاء هذا البيت، وفي عجزه خلل، ولم يتوجه لي تخريجه أو تصحيحه، وهو قوله:

أصلاه ذرّ وبرّ

أقم الحدود ولكن

- وفي ص ٦٥ جاء قول الآخر:

فيصيب هذا ماء هذا

كالبحر يمطره السحاب

وصدره مكسور، وصحته (من خ): فيصيب هذا ماء ذا

- وفي ص ٦٦ قال ابن نباتة:

إذا ذقتُ منّا حلاوة ريقه

أتانا رقيب بليغ المن بالأذى

وهو في الطبعة الثانية مستقيم العجز، أما الصدر فصار هكذا:

إذا ذقتَ منه حلا... بقه

... أنا ... رقيب يتبع المن بالأذى

وصحته (من خ) : إذا ذقت منًّا من حلاوة ريقه.

– وفي الصفحة عينها هذا البيت:

وسمعت عن ريح ... ف قبلها

حتى انثنى ورنت فقلت هما اللذا

والصواب (من خ): وسمعت عن رمحٍ وسيفٍ......

– وفي ص ٦٨ صحّف أول هذا البيت:

أسهيت أبـ ... رنـا

... درك فـي أفـقـه

وصوابه (أثبت أبصارنا) (من خ)

– وفي الصفحة نفسها:

كأن الهوى خلُ ... وصديقه

... تلاشيبي وإن يتفرقا

وليس في خ، ولعل صوابه:

كأنَ الهوى خِلٌّ.....

– وفي ص ٦٩ جاء قول البهاء زهير (ولم يرد في خ):

عندي حديث أريد ... أذكره

وصوابه (من ديوانه ص ٢٨٧):

عندي حديث أريد ... أذكره

– وفي الصفحة نفسها قال:

ظنت سليمانها ... ثمذ مزجت

قرأ ... بها لا يحطمنكم

بهمز (قرأ) وهي كذلك في خ، والصواب تسهيل الهمزة ليستقيم الوزن.

– وفي الصفحة نفسها

قلت لما عاينتها ...

صبغة الله ومن

والصواب كما في خ: صبغة الله ومن أحسن مِنْ

– وفي ص ٧٠ جاء عجز هذا البيت محرّفًا، ولم يتسنّ لي تخريجه والوقوف على صوابه:

لا تأسفنَ على الـ... الحرام ولا

... كن للحلال قط منبعثا

– وفي ص ٧١ قال ابن القيسراني:

شهدتُ عليه وما ذقته

ولكن من الغيب غيب

وفي عجزه نقص، وتتمته من خ:

يقينًا، ولكن من الغيب غيب

– وأعجب التصحيفات ما تراه في هذا البيت (ص٧١):

أواصل الهم من ضرع إلى قدم

وأوصل الضم من مدر إلى كفل

وصوابه من (خ):

أواصل اللثم من فرع.....

.... من صدر ......

– وفي ص ٧٢ قال:

وانضحا من دمي عليه فقد كا

ن ندمي من نداه لو تعلمان

والصواب: فقد كان دمي.....

– وفي الصفحة نفسها جاءت مقطَّعة منها:

يا عاذلي وأخو الصبابة

لا تلبثت أصم أعمى

لو كنت بالثناء ، وقد

زار الحبيب عجبتُ مما

وبقيت التصحيفات على حالها في الطبعة الثانية، مع تعديل في البيت الأول:

يا عاذلي وأخا الصبابة

لا بليت أصم أعمى

وفي (خ): لا بليتُ أصم أعمى

وبالتلفيق بين الروايات، يصبح البيتان هكذا:

يا عاذلي وأخو الصبا

بة – لا بُليتَ – أصم أعمى

لو كنت ثالثنا ، وقد

زار الحبيب عجبت ممّا

– وفي الصفحة نفسها:

لا يغرنّك نارها إذا أضاءت

وهو غير موجود في خ ، ولعل الصواب (إذْ) ليستقيم الوزن.

– وإذا شئت – أيها القارئ الكريم – مثالاً آخر على التصحيف، فإليك هذا البيت الذي صُحِّف صدره كاملاً، وجزءٌ من عجزه، وهو:

سعى العس المز...ف ألمي
...دود من نارها يعصي ألما

وهو من قطعة لفخر الدين بن مكانس، ولم يتسنّ لي تخريجه، فاجتهدت في إصلاحه على هذا النحو:

شَفَني ألْعَسُ ال...ف ألْمى
...خدود من نارها يُعْصَرُ ألما

فانظر كيف يشوّه التراث، ويسطو عليه الجهلة المتعالمون، ولا رقيب ولا حسيب!

– وفي الصفحة نفسها:

إنـي محتـ... لما
...ـار فوق الخـد لاما

والبحر مختلف في الشطرين، وجاءت رواية الصدر في خ:

(إني لمحتاج إلى ما) وهو هكذا من مجزوء الكامل، والعجز وبقية الأبيات من مجزوء الرمل، ولعل صوابه:

أنا محتاج إلى ...

– وفي ص ٧٣ قال ابن حجة:

تطلبت منه قبلة وهو نافر
فقال وقتلي حبنا لن يُقبلا
فقلت له ما ال... عدني إلى غد
....

وصوابه من خ:

تطلّبْتُ منه قُبلة وهو نافر
فقال وقتلي حبنا لن تُقَبَّلا
فقلت له بالوصل عدني إلى غد
....

– وفي ص ٧٣ أيضًا، جاء قول الأرجاني:

مـا عبيدالله ...ـسن
نـال بالعـي الخسارة
هـو لم يعزل ولـكن
ولقـد تكفـي الإشارة

و (العيّ) مصحفة عن (العزل) كما في خ، أما في الطبعة الثانية فقد جعل (العيّ): (الغيّ)، وكتب البيت الثاني هكذا:

هـو لـم .... ولكـن
ولقـد تكفـي الإشـارة

ثم علّق في الهامش: (في الفراغ كلمة ساقطة) يا عجبًا، ألم يثبتها في الطبعة الأولى ؟!

– وفي ص ٧٦ جاء ما يلي:

أبو بكر بن حجة قال:

وقد فرّطت في نفيري
وما شفي بقربه سقاما
اصبر عسى يشفى بماريقه
قلت لهم ياحسرتي على ما

والتصحيح من خ :

قالوا وقد فرّطت في تصبّري
وما شفي بقربه سقاما
اصبر عسى تُشفى بماء ريقه
قلت لهم يا حسرتي ياما

– وفي الصفحة نفسها:

(وقال المعز المرحوم الأميني الحمصي..... عند عوده من الغربة فكان صحبته القراليفي نجا كافل المملكة الشامية)

أما (المعز) فصوابه من خ: المَقَرّ المرحومي، والمقرّ: من الألقاب السلطانية (انظر صبح الأعشى ٥ / ٤٩٥).

وأما قوله (من الغربة فكان) فكلمة (الغربة) من وضع المحقق، أقحمها في السياق ولا معنى لها، والصواب من خ: (عند عوده من أرزنكان)، وأرزنكان من بلاد أرمينية (معجم البلدان ١ / ١٥٠).

أما قوله (صحبته القراليفي نجا كافل.....) فهو غير واضح في خ ولعل صوابه: (بصحبة المقرّ السيفي منجك كافل المملكة..) إذ ورد نص شبيه بهذا في صبح

الأعشى (٤/ ٣١٧) وفيه ذكر لصاحب ذلك اللقب.

– وفي ص ٧٧ : (قال القاضي عماد الدين أخو قاضي القضاة القاضي الحنفي) والصواب (من خزانة ابن حجة ١/ ٢٨٦): (أخو قاضي القضاة القُضَامي الحنفي)

– وفي ص ٧٧ صحَّف اسم (برهان الدين القيراطي) إلى (برهان أمين القيراطي)، ثم قال: لم أعثر على ترجمة له.

– وفي ص ٧٨ صحَّف اسم العفيف التلمساني إلى (الضيف) وقال في هامش الطبعة الثانية: (الضيف التلمساني: مرت ترجمته) قلت: كذبَ، فلم يترجم لهذا الضيف!

– وفي ص ٧٨ أيضاً جاء هذا البيت:

لا تهجروا من لا تعو... ...جركم

وهو الذ... للنأي وصلَكم عدي

وصواب العجز من خ: وهو الذي بِلِبان وصلِكم غُذِي

– وفي الصفحة عينها ورد بيتان لابن عنين، وهما في ص ٩٣ من الطبعة الثانية، وقد قال عنهما في الهامش: «لم أجد البيتين في كتب الأدب»! قلت: البيتان في ديوانه الذي حققه خليل مردم (ص ٩٢). والعجيب أنه ذكر هذا الديوان في ضمن مصادره ومراجعه! فتأمل!!

– وفي الصفحة نفسها، قال القيراطي:

لـــي مليـــح مـــؤذن

لـ... يمـــل ساعة إلى

أنـــت ميت إذا غـ...

ف... أذان يقولـــه

هكذا أثبت البيتان، وإن أقل من عنده اهتمام بالأدب ليعرف أنهما غير مستقيمين، وقد عدَّل عجز الثاني في طبعته الثانية، فصار:

....

فـ... ...ذان يقـــول لـــي

أما ما ورد في «خ» فهو هذا:

لـــي مليـــح مـــؤذ...

لـ... يمل ساعـــة إليّ

أنـــت ميْت إذا غـ...

فـــ... ...ذان يقـــول : حيّ

وقد جمع بين التورية والطباق والاكتفاء في قوله (حيٌ).

– وفي ص ٧٩ جاء قول الآخر:

حسنات الجد منه قد أطالت حسراتي

كلما شاء فعالا قلت إن الحسنات

والتصحيح من خ:

حسنات الخد منه

قد أطالت حسراتي

كلما ساء فعالاً

قلت إن الحسنات

– وفي الصفحة نفسها قال بعضهم:

شقا ريق بدر الدجى

من قبل أن يرشف شمس الضحى

وفي الطبعة الثانية جعل صدره هكذا:

رشفا لريق بدر الدجى

ولكنه مكسور في الحالتين، ولم يتوجه لي تخريجه.

أما البيت الذي بعده فجاء هكذا:

جاد النسيم على الوبا

يبسى يديه وقال لي

والصواب من خ: على الربا بندى يديه

– وفي ص ٨٠ جاء قول ابن حجة:

يا سيـــدا أطالعـــه

إن راق معناه فعدٌ

وفي خ: يا سيِّدا طالعه

– وفي الصفحة نفسها:

وبـــدرٌ ثـــم جميـــلٌ

محـــجـــب بالـــدلال

وصوابه من خزانة الأدب لابن حجة (٢ / ٢٢٧):

وبدر تمٍّ جميل

وفي طبعته الثانية قال عن هذا البيت والذي بعده: (لم أجدبيتي الشاعر في كتب الأدب)، مع أنه يزعم أن خزانة الأدب من مصادره!

– وفي ص ٨١:

فو الله لا أرضى بملكهم ولا
أرى لهم حكمٌ عليّ ولا ولا (كذا!)

والموقع الإعرابي يقتضي النصب: أرى لهم حكمًا.

وفي ص ٨١ أيضًا:

أراه لاعب شطرنج بما يغني عن
نفسه وبشامات الخدود فتن
إذا دنا لقطاعي صحت من أسف
ما عودوني أحبائي مقاطعةً

وفي الطبعة الثانية حذف كلمة (مقاطعة) وقال في الهامش: (في البياض كلمة ساقطة)، وصارت كلمة (صِحْت) (صُمْت)!

وقد تكرر عنده مثل هذا العبث، وكيف يزعم مكانها بياضًا، وقد أثبتها في الطبعة الأولى، والمعنى والقافية مستقيمان بها؟!

أما صحة البيت الأول من خ فهي:

أهواه لاعب شطرنج يُمانعني
عن نفسه ......

- وفي ص ٨٢، قال الصلاح الصفدي:

صدق حلى نسمات الصبا
في ما روت عنكم وما شكى
وقال لا أخبر منها بما
جاءت به، قلنا ولا أزكى

وصدر البيت الأول غير واضح في خ، وقد روى البيتين عبدالرحيم العباسي في معاهد التنصيص (٣/ ١٨٧) الذي هو أحد مصادر المحقق، وقد قال في طبعته الثانية: (لم أجد بيتي الشاعر..).

ورواية العباسي كما يلي:

صدّق خِلّي نسمات الصبا
في ما روت عنكم وما شكَا
وقال لا أخبر منها بما
جاءت به . قلت: ولا أزكى

- وفي الصفحة نفسها:

ويلاه من لعس يمر شفاً ....

وفي الطبعة الثانية ص ٩٨:

ويلاه من لعس تمرُّ سفاً

وصحة الشطر من خ:

ويلاه من لعس بمَرْشَفِه

- وفي ص ٨٢ أيضًا:

بكيت كثيرا إذا تنأى معذبي
وقطّع أشجار الوصال وكلّما

وجاء الصدر سليمًا في الطبعة الثانية ص ٩٨:

بكيت كثيرا إذا تناءى معذبي

وهكذا جاء في خ، أما العجز فقد جاء في خ هكذا:

وقطع أشجار الوصال وقلّما

قلت: أظن أن من الأصوب أن تكتب الكلمة الأخيرة هكذا: (وقلّ ما) ليتم بذلك التورية والاكتفاء الذي عُقِد الكتاب له.

ومثل ذلك ما جاء في الصفحة نفسها:

أو أنثني للغيظ بعد الرضى
فكلت في الحال له كيلا

إذ كتب الناسخ بعدها (كي لا) وهي أنسب لمراد الشاعر.

- وفي ص ١٠٠ ذكر أبي الفتح قابوس في الطبعة الثانية، فقال في الهامش: (مرت ترجمته) وهي لم تمر!

- وفي ص ٨٥:

ولقد كففت عنان عيني جاهدا
حتى إذا اعتلت أطلقت العنَا - ن

والصواب من خ: حتى إذا أعييت

- وفي ص ٨٦:

إليكم هجري وقصدي
وفيكمو الموت والحياة
آمنت أن توحشوا فؤادي
فآنسوا مقلتي ولاتو - حشوا

وفي الطبعة الثانية حذف كلمة (تو - حشوا) وقال: (هناك كلمة ساقطة فتأمل!

وصواب كتابة البيتين من خ:

إليكم هجرتي .....

أمنْت ....

– وفي ص ٨٦:

أصبحت غضنا للمعنـ... لم تمل

...ـبا وللعشاق لا تلتفتْ

ما رام صب أن يتو...ن الهوى

إلا نهـ... جمال حسنك يرتوي

وفي الطبعة الثانية حذف كلمة يرتوي، وقال كما قال من قبل (هناك كلمة ساقطة) والخلل واقع في عَجُزي البيتين، وصوابهما في خ:

....

...ـبا وللعشاق لا تتلفّت

....

إلا نهاه جمـ... حسنك أن يتو – ب

– وفي الصفحة نفسها:

وقضى على ذكراه ا... سمت الكرى

وبها ا...ائي عند وقت تنبّهي

جل الذي أبدا العا...ق وجهه

ما عزيز الوصف من ماء مهي

وصوابهما في خ:

دمعـــي علـــى ذكراه

....

جل الذي أبدا لعاشـ... وجهه

ماءً عزيز الو...ف من ماء مهي – ن

– وفي ص ٨٨:

ورب نهار نادمت فيـ... أغيدا

وهو في خ:

ورب نهار فيه نادمت أغيدا

– وفي ص ٨٩ ورد بيتان فيهما إشارة إلى اسم (النواجي) المؤلف، وجاء عجز ثانيهما هكذا:

ولا عجب في أول اسم له التوى

وبيّن أن الصواب (النوا).

– وفي ص ٩٢:

والطرف مذ فقد بكى بما

يحكي الغمام فليس يُهدى بالرقا – د

وجاء صحيحا في الطبعة الثانية:

والطرف مذ فقد السهاد بكى بما

أما في خ، فقد جاء موضع (السهاد): (الرقاد) وهذه الكلمة أولى؛ لتتم التورية في آخر البيت.

– وفي ص ٩٤ جاء هذا البيت وفي عجزه تصحيف:

عابوا البروق وقد شبّهتها بسنا

أنواره ثغراً لما حسنه شاعا

وصوابه من خ: ثغرَ ألمي حسنُهُ شاعا

– وفي ص ٩٤ أيضًا نسب بيتين لبدر الدين السبكي (وهو في خ البستكي) وهما:

خاف أن مات صبُّه وهو لم

يدر مقام الوصل منه فواتا

قلت للقلب سمّه فقا

ل (...) القلب وجدا وماشا

كذا (!) وللقارئ الحق في أن يعجب العجب كله ممّن يزعم أنه محقق، وهو ينشر هذا الكلام المضطرب.

أقول: هذان البيتان لا علاقة لأحدهما بالآخر، فالبيت الأول يتبعه آخر، أخل به الكتاب المطبوع، وهما في خ على هذا النحو:

خاف إن مات صبُّه وهْو لم يَدْ

ر مقام الوصال منه فواتا

يا حياة المحب، توّبَ عنكم

وهْو لو فارق الحياة لما تا – ب

أما البيت الآخر ، فهو ثاني اثنين في خ، وهما لمجد الدين بن مكانس:

أهيف قد أزال هما عظيما

عندما عانق المحب وماسا

قلت للقلب سِمْهُ وصلا فذاب الـ

ـقلب وجدا لما تثنّى وما سا – م

وواضح أن في المخطوطة التي اعتمدها المحقق سقطًا ذهب فيه البيتان اللذان في الوسط، وقد يكون ذلك من الناسخ، غير أن التبعة لا ترتفع عن كاهل من يزعم التحقيق.

- وفي ص ٩٥ وردت عدة كلمات مصحفة على هذا النحو:

ولا من ناصره ← ولا من عاصره / وأجروا أجياد أفكارهم ← جياد / وأنه له أولى ← به أولى/ مشهودا بصحبة المشار إليه ← مشهوراً.

- وفي ص ٩٦ أتت عدة كلمات مصحفة أيضا، وصوابها على هذا النحو:

أنشدهما لي قاضي القضاة متقاضيا في الجواب ← وتقاضاني الجواب.

أما في الطبعة الثانية، فجاءت هكذا: وتقاصا في .

- وفي الصفحة نفسها:

وقد تغطّينا فروحـ.. بنا

فهـ.. الوقت وست .. [illegible]

وصوابه من خ:

لقد تعطشنا فروسـ.. بنا

نروَ ، فهذا الوقت ...

- وفيها أيضًا:

من عقرب الصدغ ومن حية السعي

.. لقد متّ بلسع الهوا - م

قالوا نداوي قلبه .. ن ندم

فقلت .. يرجى لفان دوا - م

اللهم إني أبرأ إليك من أن يسمى هذا تحقيقًا، أو خدمة للعلم !

إن صحة البيتين كما في خ:

من عقرب الصدغ ومن حية الشـ

ـعـر .. لقد متّ بلسع الهوا - م

قالوا يُداوى قلبه .. ن يَدُم

قلت .. هل يرجى لفان دوا! - م

- وفيها أيضًا:

إن حرَمت خمر عدتُ مرةً

فإن لي فيك خمرا حلالا

وهو في خ هكذا:

إن حرَمت خمر غدت مُرة

فإن لي في فيك خمرا حلا - لا

- وفي ص ١١٣ من الطبعة الثانية، جاء قول الآخر:

وجاوبرا العزّال عمَ غدا

وصوابه من خ:

وجاوبوا العُذّال عمّن غدا

- وفي الصفحة نفسها من هذه الطبعة:

لقد صاح هذا الوجه عمَ مضى

وهو في ص ٩٧ من الطبعة الأولى:

لقد صاح الوجه على ما مضى

وهو في خ :

بعد صباح الوجه عيسى مضى

ويبدو لي أن فيه تحريفًا، ولم يتسنّ لي تخريجه.

- وفي الصفحة نفسها قال: (إنما ذكرت ذلك حكاية للحال، لأني اتهمتك) والصواب في خ: (لا أني اتهمتك) وشتان ما بين المعنيين.

- وفي ص ٩٨ قال بعضهم:

رعى الله أيام الوصل فقد مضت

وحالت في حب ذا الرشا الأحوا - ل

وقد جاء في خ مستقيماً على هذا النحو:

رعى الله أيام الوصال فقد مضت

وحالت بنا ....

- وفي ص ٩٩:

رُمْت قراءة فجلا طلعةً ....

والصواب كما في خ، وكما في المخطوطة التي اعتمدها، فقد رأيت البيت في صورة الورقة الأخيرة، المثبتة في مقدمة الكتاب:

رُمْتُ قِرَاهُ فجلا طلعة

٥ - التعالم

- في ص ٥٥ من الطبعة الثانية ورد قول ابن المعتز:

زاحم كمي كمه فالتويا

وافق قلبي قلبه فاستويا

وطالما ذاقا الهوى فاكتويا

يا قرة العين ويا موتي ويا

فقال المحقق معلقًا في الهامش:

(والبيتان موجودان في الديوان بتصرف شديد، والرواية هكذا:

يا ناظرا أودع قلبي الهوى

كوي بالصد الحشا فالتوى

ما نلت منه نائلا غير أن

وافق كمي كمّه فالتوى)

فتأمل رعاك الله ما يصنع الجهل!

- وكثيرا ما يقول المحقق إنه لم يجد قائل الأبيات، مع اشتمال كثير من مصادره المزعومة على جملة حسنة مما ذكر، فمن ذلك الأبيات التي أولها:

ولم أنس ما شاهدته من جماله

وقد زرت في بعض الليالي مصلاه

وهي لأبي نواس (انظر: من غاب عنه المطرب ١٤٨) ولم أجدها في ديوانه.

وكذلك الأبيات التي مطلعها:

يا حسنَ بعض الناس مهلا

صيرتَ كل الناس قتلى

وهي للبهاء زهير (ديوانه ص ١٩٩)، وإني لأعجب لمن يحقق كتابًا فيه اختيارات كثيرة من شعر البهاء زهير، ولا يجعل ديوانه ضمن مصادره، مع أنه جعل منها - أي المصادر - دواوين لم يحتج إليها، كديوان أبي الهندي، وديوان عبد بني الحسحاس، وغيرهما!!

- ومما بان فيه عوار المحقق إغفاله الترجمة لبعض الأعلام، زاعمًا أنه لم يجد لهم ترجمة، وهم مشاهير مذكورون في كتاب (الأعلام) وغيره من الكتب التي يدّعي أنه اتخذها مصادر، ومن هؤلاء الأعلام:

ناصح الدين الأرجاني (الأعلام ١ / ٢١٥)

شهاب الدين التلعفري (الأعلام ٧ / ١٥١)

علاء الدين الوداعي (فوات الوفيات ٣ / ٩٨)

برهان الدين القيراطي (الأعلام ١ / ٤٩)

وغيرهم، وإنما أردت التمثيل لا الحصر، علمًا أنه ترجم لبعضهم في طبعته الثانية، ولكن ذلك لا يعفيه من التبعة، فالطبعة الأولى موجودة متداولة.

- وإليك أيها القارئ أخيرًا هذه الطرفة، فقد كُتب على باطن غلاف الطبعة الثانية: حقوق الطبع محفوظة للمؤلف!! لقد علم هذا المحقق أنه لم يُفِد الكتاب، بل أفسده، وإن حاول أن يعشي الأبصار بقوله: (تحقيق وضبط ومراجعة)؛ فجعل الحقوق للمؤلف المتوفى قبل ما يقارب ستة قرون.

- وأود الإشارة إلى أن اختيارات النواجي في (الشفاء) تكاد تكون منقولة برمتها من فصل (ذكر الاكتفاء) في خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي، الذي كان صاحبًا له، ثم تغيّر ما بينهما، فألف النواجي كتاب (الحجة في سرقات ابن حجة)، غير أن الجزم بمسألة الآخذ والمأخوذ منه تحتاج ترويًا وطول نظر.

وبعد؛ فقد أغفلت كثيرًا من الملحوظات، مقدرًا أنها من أثر الطباعة، وقد تبيّن لذي عينين أن هذا الكتاب الطريف عدت عليه يد عصفت بجماله، وأفسدت رونقه، زاعمة أنها تحققه وتضبطه، ولو كان للتراث هيئة علمية عالية تحميه وتتولى الإشراف على نشره، لما رأينا هذا العبث، ولما أقذت أعيننا نفوس مريضة تتاجر بالعلم، وتتخذ التراث مركبًا ذلولاً لأرباح مادية، وأشباه هذا الكتاب كثير، غير أنه أصرح مثال على ذلك العبث، وإني أرى أنه لا يجوز لأحد أن يتخذه مصدرًا أو مرجعًا، فإن احتاج إليه فليرجع إلى إحدى مخطوطاته، فهي أسلم وأحكم، والله المستعان وهو الهادي إلى سواء السبيل.

المكتبات الجامعية ودورها في البحث العلمي

سالم محمد السالم
قسم المكتبات والمعلومات
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المقدمة

تشكل المكتبات الجامعية محور العملية التعليمية والبحثية في الجامعات ، وهي من أهم الركائز التي تعتمد عليها الجامعات في أداء رسالتها الأكاديمية وفي تحقيق أهدافها المتمثلة في التعليم والبحث العلمي وخدمة المجتمع والتعليم المستمر . الأمر الذي يجعل هذا النوع من المكتبات يحتل مكانة متميزة في مؤسسات التعليم العالي، ويسد فراغًا ملحوظًا في الحياة الأكاديمية للمنتمين إلى تلك المؤسسات . ولا غرو أن تكون المكتبات الجامعية بهذه الأهمية إذا وضع في الحسبان ما تقدمه من خدمات لتلبية احتياجات الطلبة وأعضاء هيئة التدريس والباحثين والموظفين مما له علاقة بالمناهج الدراسية والبحوث العلمية . ومما زاد من تلك الأهمية في الوقت الحاضر ما نلاحظه من تغير فلسفة التعليم الجامعي من الاعتماد على المحاضرات النظرية وعلى الأستاذ وحده إلى الاعتماد بشكل أكثر على الطالب وعلى مشاريع البحث التي تستدعي الرجوع إلى المكتبة بشكل مستمر .

وغني عن القول إن البحث العلمي يتطلب خدمات معلومات جيدة ومتطورة ، وإن المكتبات الجامعية تعد سندًا أساسيًا للبحث العلمي . ويقاس نجاح تلك المكتبات بمدى ما يجنيه الأستاذ منها من فائدة وليس بكبر حجمها أو بضخامة مبناها . ولكي تنجح في تحقيق رسالتها وفي إثبات وجودها فينبغي لها عدم الاقتصار على الوظائف التقليدية المتمثلة في الاختيار والاقتناء والتنظيم بل تجاوز ذلك إلى بث الخدمات للمستفيدين وتلمس احتياجاتهم ودعم البحوث التي يقومون بها من خلال تنويع المصادر وتوفير الخدمات المتطورة والتعرف إلى اهتمامات البحث بالجامعة ووضعية الباحثين ونحو ذلك من العناصر الأساسية التي تساعد المكتبة على فرض وجودها .

وحيث إن المكتبة تمثل المحطة الأولى للباحث في مرحلة جمع المعلومات لذا فلا يمكن الحديث عن البحث العلمي بمعزل عن المكتبة . فالبحث بحاجة إلى المعلومات التي هي دعامته وأساسه ، والمكتبة هي المكان الطبيعي للمعلومات وهي المكان الشرعي لحفظ مصادر المعرفة وإتاحتها لجمهور العلماء والباحثين . والمكتبة فضلاً عن كونها مركزًا للبحث والاطلاع والتنقيب عن الحقائق ، تمثل عنصرًا أساسيًا في تقويم الجامعات العصرية والاعتراف بمستواها الأكاديمي والحكم على مدى نجاحها . بل إنه ينظر إلى مكتبة الجامعة على أنها مركز المعلومات لجميع منسوبي الجامعة (عباس : ١٤٠٩ ، ٢٠٩) . وهذا يعني أنه إذا كانت مكتبة الجامعة هي ركيزة العملية التعليمية والبحثية وهي مصدر المعلومات الرئيس للطالب والأستاذ والباحث بشكل عام فلا يمكن أن نعزل أهداف المكتبة الجامعية عن أهداف الجامعة التي وجدت المكتبة لخدمتها نظرًا لوجود علاقة واضحة وقوية بين الجامعة والمكتبة . فإذا كانت الجامعة تهدف إلى التدريس والبحث العلمي وخدمة المجتمع ، فإن المكتبة تهدف إلى تعزيز البرامج التدريسية والبحثية في الجامعة . ويتأتى ذلك من خلال قنوات عديدة من بينها اختيار المواد التي تلبي احتياجات منسوبي الجامعة وتنظيمها وتيسير استخدامها (AHMAD : 1984) .

أهداف الدراسة :

تهدف الدراسة الحالية إلى تحقيق مجموعة أهداف من أبرزها :

١ - التعرف إلى موقع المكتبات الجامعية في خارطة المعلومات.

٢- الكشف عن أبرز النماذج للبحوث النظرية التي تناولت دور المكتبات الجامعية في البحث العلمي .

٣ – تقصي بعض الدراسات الميدانية التي عالجت دور المكتبات الجامعية في البحث العلمي .

٤ – الخروج بمجموعة من النتائج المتمخضة عن استقراء البحوث النظرية والدراسات الميدانية في الموضوع قيد الدراسة .

٥ – طرح مجموعة من المقترحات والتوصيات التي يمكن أن يسترشد بها المسئولون والعاملون في المكتبات الجامعية بغرض تحسين وضعيتها وتعزيز دورها في خدمة البحث والباحثين .

أسئلة الدراسة :

إن التساؤل الرئيس الذي يحكم مسار الدراسة الحالية هو : ما مدى الدور الذي تمارسه المكتبات الجامعية في دعم حركة البحث العلمي لمنسوبي الجامعات ؟ ويتفرع عن هذا التساؤل عدة أسئلة فرعية يتناول كل واحد منها جانبًا من جوانب القضية موضوع الدراسة، وذلك على النحو التالي :

١ – ما موقع المكتبات الجامعية (كمصدر من مصادر المعلومات للباحثين من منسوبي الجامعات) في خارطة المعلومات بمفهومها الشامل ؟

٢ – ما وضعية المكتبات الجامعية ودورها في البحث العلمي في الأدبيات العربية والإنجليزية التي تناولت الموضوع من زاوية نظرية بحتة ؟

٣ – ما وضعية المكتبات الجامعية ودورها في البحث العلمي من واقع الدراسات العلمية التي عالجت الموضوع من زاوية ميدانية ؟

٤ – ما أهم المعطيات التي يمكن الخروج بها من استقراء البحوث والدراسات التي تطرقت للمجال مطرح الدراسة ؟

وللإجابة عن أسئلة الدراسة سابقة الذكر ولتحقيق أهدافها يحاول الباحث عرض نماذج للأدبيات التي تعطي في مجملها صورة عن وضعية المعرفة في المجال . ويؤمل أن تكشف إجابات الأسئلة السابقة عن دور المكتبات الجامعية في تأديتها لوظيفتها المتعلقة بالبحث العلمي ، وأن تضع بين يدي المسئولين عن هذا النوع من المكتبات معطيات يمكن الاستئناس بها في تعزيز الوضع الراهن وفي الكشف عن البدائل التي تعمل على تطوير مؤسسات المعلومات في الحرم الجامعي خاصة المكتبات والنهوض بمستواها .

أهمية الدراسة :

تتمثل أهمية الدراسة الحالية فيما تكشف عنه من نتائج تفيد في الوقوف على حالة المعرفة الراهنة في المجال والتعرف إلى العناصر المتعلقة بوظائف المكتبات الجامعية خاصة تلك الوظيفة المتعلقة بمساعدة الجامعات على أداء رسالتها المتعلقة بالبحث العلمي . ولا شك أن البحث يمثل وظيفة أساسية لأساتذة الجامعة، ويمثل مطلبًا ضرورياً لطلبة الدراسات العليا ولطلبة المرحلة الجامعية وللباحثين على جه العموم . فالبحث – على حد تعبير باشا – هو الذي يضع حداً فاصلاً بين طبيعة العمل الأكاديمي وطبيعة العمل في المهن الأخرى، وهو الذي يجعل لأستاذ الجامعة نظرة تميزه عما عداه لأن البحث العلمي يمثل متطلبًا أساسياً لوظيفة التدريس الجامعي، بل قد يكون البحث هو الصفة الشخصية التي تميز عضو هيئة التدريس في الجامعات عن الآخرين لأنه يفكر بطريقة علمية ويتخذ من المنهج العلمي سلاحًا للبرهنة على حججه (باشا : ١٤٠٣، ٣) . ولا يمكن النهوض بالوظيفة البحثية في غياب مصادر المعلومات التي يرتكز عليها الأساتذة الباحثون وفي مقدمتها المكتبات التي تمثل دعامة البحث وقاعدته التي ينطلق منها .

كما يعزز من أهمية الدراسة الحالية أنها تقدم رؤية شاملة للدور الملقى على عاتق المكتبات الجامعية في تلبية الاحتياجات البحثية لمنسوبي مؤسسات التعليم العالي . فإذا كان الهدف الذي من أجله وجدت تلك المؤسسات هو دعم الإنتاجية العلمية لمنسوبيها وتوفير كل ما من شأنه انسياب المشاريع البحثية، فلعل السؤال الذي يثار هنا هو: ما مدى تلبية مكتبات مؤسسات التعليم العالي لهذا الهدف ؟ ويؤمل أن يقدم الباحث إجابة عن هذا السؤال وأن يقدم أيضًا خطة مقترحة تهدف إلى تطوير واقع المكتبات وتحسين وضعيتها بحيث تسهم إسهامًا فاعلاً في النهوض بمستوى البحث العلمي . إضافة إلى أن الدراسة ستكشف عن أهم الصعوبات التي تقف حجر عثرة أمام ممارسة المكتبات الجامعية لوظيفتها البحثية على الوجه

الأكمل الأمر الذي يدفع إلى إيجاد حلول تذلل من حدة تلك الصعوبات وتجعل المكتبة الجامعية دعامة حقيقية للبحث العلمي كما هو مؤمل لها .

مجال الدراسة وأبعادها :

تتناول الدراسة الحالية دور المكتبات الجامعية في البحث العلمي على وجه العموم ودون تحديد للأبعاد الموضوعية والزمنية والمكانية، حيث إن الهدف الذي يرمي إليه الباحث في النهاية هو تقديم صورة شمولية للموضوع محط الدراسة من خلال مراجعة واستقراء التراث العلمي الذي أمكن الحصول عليه . ولذا فإن الحديث هنا لا يرتبط ببيئة بعينها أو بجامعة بعينها أو بشكل معين من أشكال المكتبات الجامعية أو بفترة زمنية محددة . وهذا يعني أن البعد الموضوعي المتمثل في المكتبات الجامعية ينصب على جميع أنماط المكتبات الملحقة بمؤسسات التعليم العالي . كما أن مفهوم البحث العلمي يشمل كافة أنواع البحوث التي يقوم بها الطلبة والأساتذة والباحثون من داخل الجامعات وخارجها (نظرًا لكون المكتبات الجامعية مسخرة لخدمة الباحثين حيثما كانوا) سواء بدافع ذاتي أو بتكليف من بعض الجهات ، وسواء لأغراض علمية أو لأغراض أخرى بما في ذلك ورقة البحث TERM PAPER التي يكلف بها الطلبة أثناء الدراسة .

ومع أن لمكتبات الجامعات وظائف تعليمية وبحثية وتربوية وتثقيفية ، ومع أنها تساند الجامعات في القيام بمسئولياتها الثلاث المتمثلة في التعليم والبحث وخدمة المجتمع فتقتصر الدراسة الحالية على معالجة وتحليل الوظيفة البحثية لتلك المكتبات وحدها، ولا تتعرض من قريب أو من بعيد للوظائف الأخرى لكونها خارجة عن نطاق الدراسة .

المصطلحات المستخدمة في الدراسة :

لقد ورد في عنوان الدراسة وفي متنها بعض المصطلحات التي تحتاج إلى تعريفات، وذلك على النحو التالي:

*** المكتبات الجامعية :**

يقصد بها في هذه الدراسة تلك المؤسسات العلمية التي تخدم الدارسين والباحثين وأعضاء هيئة التدريس وتقوم بتزويدهم بالمعلومات التي يحتاجونها في بحوثهم ودراساتهم. وتشمل مكتبات الكليات والجامعات والمعاهد العليا والمؤسسات الأكاديمية ونحوها من مؤسسات التعليم العالي (القضاب : ١٩٩٤ ، ٢٦٧) . وقد استخدم الباحث في هذه الدراسة المصطلحات الثلاثة : المكتبات الجامعية ، والمكتبات الأكاديمية ، ومكتبات التعليم العالي بطريقة تبادلية بحيث يعني كل واحد منها المعنى نفسه الذي يعنيه الآخر .

*** التعليم العالي :**

يقصد به أعلى مرحلة في التعليم، ويشتمل على البرامج التعليمية المنفذة عبر الجامعات والكليات والمعاهد العليا والمراكز المرتبطة بها (القضاب : ١٩٩٤ ، ٢٦٧) .

*** الجامعة :**

مؤسسة تعليمية تحتوي على مجموعة من الكليات والمدارس العليا يؤمها الطلبة والأساتذة والعلماء والباحثون الذين ينشدون المعرفة ويدرسون المجتمع ومشكلاته بأسلوب علمي مستعينين بالمكتبات وبمصادر المعلومات الأخرى من مختبرات ومعامل ودراسات ميدانية وغيرها (القضاب : ١٩٩٤ ، ٢٦٧) .

*** البحث العلمي :**

يقصد بمصطلح البحث العلمي في الدراسة الحالية جميع أنواع البحوث النظرية والدراسات الميدانية التي تتطلب تطبيق الأسلوب العلمي بغرض الإجابة عن سؤال محدد أو حل مشكلة معينة . ومعروف أن من بين خطوات هذا الأسلوب مراجعة الدراسات السابقة من خلال الاستعانة بمصادر المعلومات المتوافرة في حرم الجامعة (أو في جهات أخرى) بوصفها المصدر الأقرب منالاً من منسوبي الجامعات . ويتسع مفهوم البحث العلمي – كما ذكر سابقًا – بحيث يدخل في نطاقه مختلف أنواع البحوث التي يعدها الطلبة والأساتذة والباحثون لمختلف الأغراض بغض النظر عن دوافع البحث ومنهجه والهدف من إعداده.

منهج الدراسة :

حيث إن هدف هذه الدراسة هو وصف وضعية المكتبات الجامعية ودورها في البحث العلمي فإن المنهج الوصفي هو الأنسب لتحقيق هذا الهدف . وحيث إن الاعتماد الأساسي في هذا الوصف على مراجعة الإنتاج

الفكري وتحليله فقد تمت الاستعانة بأسلوب البحث الوثائقي . وهو نوع من أنواع الأساليب المندرجة تحت مظلة المنهج الوصفي بمفهومه الشامل . ويهدف البحث الوثائقي إلى وصف «واقع الظاهرة المراد دراستها بواسطة استنتاج الأدلة والبراهين التي تجيب عن أسئلة البحث، المستمدة من الوثائق المنشورة وغير المنشورة» (العساف : ١٤٠٩ ، ١٨٣) . ويتطلب التحليل الوثائقي تحليلاً كيفياً لمعالجة البيانات، حيث يصبح بإمكان الباحث الخروج ببعض الحقائق الكيفية ومحاولة الربط بينها والوصول إلى العلاقات بين المتغيرات المدرجة في الموضوع الذي يدرسه الباحث (العساف : ١٤٠٩ ، ١٠٤) .

ويتنازع مفهوم البحث الوثائقي (أو منهج البحث المكتبي كما يطلق عليه البعض) وجهات نظر عديدة ، كما يوجد اختلاف واضح لدى علماء المنهجية في وضع حد فاصل بين المنهج التاريخي والمنهج الوثائقي والمنهج المكتبي والمنهج التحليلي ومنهج تحليل المحتوى . ولكنهم يتفقون على أن المنهج الوثائقي يطبق في حالة الإجابة عن سؤال يتعلق بالوقت الراهن من خلال المصادر الحديثة المعاصرة أساسية كانت أم ثانوية . كما أنهم يتفقون أيضاً على أن المنهج نفسه ينصب على الجمع المتأني والدقيق لمصادر المعلومات المتوافرة حول موضوع معين أو مشكلة محددة، ومن ثم تحليلها واستنتاج الحقائق التي يرمي الباحث إلى تحقيقها . بالإضافة إلى أن هناك اتفاقًا على أن وحدة أداة البحث (وحدة التحليل والمعالجة) في هذا النوع من البحوث هي الوثائق المنشورة وغير المنشورة المتعلقة بالمشكلة المزمع بحثها ، الأمر الذي يجعل البعض يطلق عليه منهج التحليل الوثائقي (العساف : ١٤٠٩ ، ٢٠٣ - ٢٠٥) .

ويستخدم البحث الوثائقي لتحقيق أهداف عديدة من بينها وصف الظاهرة قيد البحث ، وتوضيح العلاقة ومقدارها ، واستنتاج الأسباب الكامنة وراء سلوك معين ، ومعرفة الأثر الذي يحدث بفعل عامل الزمن على استجابة أفراد العينة . ويرتبط بمميزات وعيوب عديدة من بينها فيما يتعلق بالميزات تلافيه لجوانب القصور المرتبطة ببعض المناهج الأخرى مما يؤكد صدقها في تصوير الواقع المدروس والبعد عن التأثير الذي قد يحدث نتيجة لاستخدام أسلوب آخر يشعر فيها المفحوصون أنهم تحت الملاحظة . إضافة إلى ما يمتاز به البحث الوثائقي من عدم اعتماده على التحليل الكمي الأمر الذي يجعله سهل التطبيق . إلا أنه على الطرف الآخر تعتور البحث الوثائقي بعض العيوب، ومن بينها تأثره بذاتية الباحث الذي قد يقع تحت تأثير عوامل عديدة في عملية بحثه عن المصادر المطلوبة أو في تقويمها ونقدها أو في تحليلها «فقد لا يبحث إلا عن ما يراه مناسبًا من المصادر ، وقد يحكم على المصدر ومحتوياته من منظاره هو، وأخيرًا قد يغمض عينيه عن بعض الأدلة والحقائق التي لا تتفق مع رأيه أو تؤيد وجهة نظره . إلا أن هذا العيب حقيقة لا يرتبط بالبحث الوثائقي وحده ، وإنما يعد من قصور البحوث التي تبحث في الظاهرة الإنسانية ككل ... كما أنه يمكن تخفيف أثر هذا العيب بشكل كبير عندما يلتزم الباحث بمنهجية واضحة يدرك وضوحها القارئ، بل يستطيع أن يحكم على مدى التزام البحث بخطواتها» (العساف : ١٤٠٩، ٢٠٧ - ٢١١) . وقد حاول الباحث قصارى جهده تلافي تلك العيوب المشار إليها وذلك من خلال الاستشهاد بكل المصادر التي أمكن الحصول عليها دون استبعاد مصدر معين ، وأيضاً من خلال التزام المنهجية في عملية الطرح والمعالجة ، والسير على خطى الأسلوب العلمي بخطواته المعروفة والموضحة في مقدمة الدراسة .

مجتمع الدراسة :

سبقت الإشارة إلى أن مجتمع الدراسة الحالية غير مقيد ببيئة معينة أو بنمط من أنماط المكتبات الجامعية بل يشمل جميع المكتبات (أو مراكز المعلومات) الملحقة بمؤسسات التعليم العالي (التي تمنح درجات علمية لما بعد المرحلة الثانوية) . وهذا التعريف يشمل مكتبات الكليات والكليات المتوسطة والجامعات . وتعد المكتبات الجامعية أحد نماذج المكتبات الأكاديمية ، وهي قديمة قدم الجامعات نفسها، وقد ظهرت في عدة أنماط من بينها المكتبة المركزية أو الرئيسة التي تخدم الجامعة بكلياتها وأقسامها كافة أو في نمط مجموعة من المكتبات (دون وجود للمكتبة المركزية)، وقد تجمع المكتبة الجامعية بين النمطين السابقين

بحيث تكون عبارة عن مكتبة مركزية ومجموعة من مكتبات الكليات . وفي الوقت الراهن تطورت الأشكال التقليدية للمكتبات الجامعية في الدول المتقدمة إلى نظم وشبكات مترابطة (عليان : ١٩٩٤ ، ٣٠٧) .

وقد لاحظ قاسم أن هناك أربعة أنماط لتنظيم التشكيلات المكتبية الجامعية تتمثل في :

١ – مكتبة مركزية ومجموعة من المكتبات الفرعية في الكليات والمعاهد ومراكز البحوث .

٢ – إدارة مركزية تشرف على مجموعة من المكتبات الفرعية .

٣ – مجموعة من المكتبات القطاعية المركزية (في الغالب يتكون هذا النمط من ثلاث مكتبات إحداها للعلوم الطبيعية والتقنية ، والثانية للعلوم الاجتماعية ، والثالثة للإنسانيات) .

٤ – تمييز المكتبات التي تخدم طلبة المرحلة الجامعية الأولى والعملية التعليمية بوجه عام ، والمكتبات التي تخدم طلبة الدراسات العليا وأغراض البحث بوجه عام .

ويمكن أن يكون في الجامعة نفسها تشكيلاً يجمع بين أكثر من نمط من الأنماط الأربعة المشار إليها (قاسم : د . ت ، ١٠٤ – ١٠٥) .

كما سبقت الإشارة أيضًا إلى أن مجتمع الدراسة الحالية يشمل جميع المنتمين للوسط الجامعي من طلبة وأساتذة وباحثين وإداريين بالإضافة إلى الباحثين من خارج الجامعة، وذلك لأن المكتبة الجامعية تعد في الوقت ذاته مكتبة بحثية لأنها تخدم الباحثين – من خارج الجامعة – في منطقة وجودها . وفي هذا السياق يذكر عليان أن مجتمع المكتبات الجامعية يختلف عن مجتمع الأنواع الأخرى من المكتبات من حيث طبيعة خصائصه وحاجاته فهو مجتمع متجانس إلى حد ما ، وأكاديمي في الدرجة الأولى، وهو يتكون غالبًا من الفئات التالية :

– الطلبة بمختلف مستوياتهم الأكاديمية وتخصصاتهم العلمية.

– أعضاء هيئة التدريس من معيدين ومحاضرين وأساتذة مساعدين وأساتذة مشاركين وأساتذة .

– الباحثين في مختلف المجالات والموضوعات .

– موظفي الجامعة العاملين في مختلف إداراتها وأقسامها.

– الباحثين والمؤلفين والمثقفين من أفراد المجتمع المحلي والبيئة المحيطة (عليان : ١٩٩٤ ، ٣٠٩) .

كما يذكر قاسم أن المكتبات الجامعية لا تقتصر خدماتها على مجتمع الجامعة بكل عناصره (طلبة المرحلة الجامعية الأولى ، وطلبة الدراسات العليا ، وأعضاء هيئة التدريس ، والباحثين المتفرغين ، والعاملين بالجامعة) بل تمتد لتشمل الباحثين من خارج الجامعة (قاسم : د . ت ، ١٠٤) .

المكتبات الجامعية في خارطة المعلومات :

من غير المعقول أن نتصور بحثًا علميًا بدون معلومات يعتمد عليها وبدون مصادر ينطلق منها ويستند إليها، ذلك أن الهدف من إجراء البحث هو الإجابة عن سؤال محدد أو الإسهام في حل مشكلة معينة والإضافة إلى الرصيد المعرفي في المجال قيد الدراسة ، ولن يتحقق هذا الهدف إلا من خلال الوقوف على أدبيات الموضوع التي تعج بها المصادر وتزخر بها المراجع . ولذا فلا غنى للباحث عن المصادر التي يدعم بها بحثه ، فهو بحاجة إلى المعلومات لمساعدته على تجنب تكرار جهود سبق القيام بها ولتخطيط بحثه وتحليل نتائجه ومناقشتها وتفسيرها في ضوء المحاولات السابقة . ويمر البحث العلمي عادة بمراحل وخطوات تتمثل في تحديد المشكلة وصياغة الفروض وتحديد الأسلوب المناسب لجمع البيانات وأخيرًا تحليل النتائج وتفسيرها . وفي كل مرحلة من تلك المراحل فإن الباحث بحاجة إلى المعلومات التي تجعل من بحثه عملاً متميزًا وجهدًا أصيلاً (قاسم : د . ت ، ١٨٠ ، ١٩٠) .

وبعبارة أخرى ؛ يمكن النظر إلى البحث العلمي على أنه إدارة واعية ورشيدة للمعلومات وتفاعلاً معها وبلورة لها من حيث التجميع والتحليل والاستقراء والنشر . فالباحث يستمد عادة من حصيلة المعلومات المتاحة له ويضيف إليها إنتاجه . المتمثل في تقارير البحوث والدراسات والمقالات والكتب وخلافه ، فهو ينطلق من المعلومات وينتهي بإثرائها وهكذا دواليك (الهادي : ١٤١٠ ، ١٢٢) .

والواقع أن منسوبي الجامعات – خاصة الأساتذة – هم أحوج الناس إلى مصادر المعلومات نظرًا لكون طبيعة عملهم الأكاديمي تفرض عليهم التعامل مع المعلومات طوال

وقتهم لإنجاز مهامهم الوظيفية، الأمر الذي يجعل الكثيرين ينظرون إلى الجامعة على أنها موطن البحث العلمي ومعقله نظرًا لما تمتاز به من عقول وكفاءات جديرة بتحمل مسئولية النهوض بالبحث العلمي في المجتمع . وتمثل المكتبات في الحرم الجامعي محور تلك المصادر لأنها قد أعدت أصلاً لتزويد الباحثين بالمعلومات التي يبحثون عنها .

إلا أنه رغم أن الفرضية التي انطلقت منها الدراسة الحالية هي أن المكتبات الجامعية تعد مصدراً معلوماتياً مهمّاً للمنتمين للأوساط الأكاديمية في إنجاز مهامهم البحثية ؛ فإن هذه الفرضية ينبغي أن لا تطلق على علاتها بل يستحسن التعامل معها بحذر . وهذا يعني أنه لكي تتضح الصورة المتعلقة بالوظيفة البحثية بشكل شمولي فينبغي النظر إلى تلك الوظيفة في إطار مرجعي يعكس منسوبي الجامعات كمستفيدين في محيطهم الواسع الذي يشمل التعامل مع المعلومات في شكلها الرحب ، أي النظر إلى هؤلاء المنسوبين على أنهم مستفيدين ديناميكيين محاطين بعدة مصادر معلوماتية داخل الجامعة وخارجها تؤدي دورًا في تلبية احتياجاتهم البحثية ومن بينها المكتبة الجامعية التي تمثل مصدرًا واحدًا من مصادر المعلومات للباحثين . وقد يستعان بها وقد لا يستعان بها وذلك وفقًا للمكانة التي تحتلها في تصور المستفيدين وأهميتها في إجراء البحوث العلمية ووفقًا لاعتبارات أخرى من بينها مدى توافر المصادر البديلة في بيئة المستفيدين وفي متناول أيديهم . ولهذا السبب فقد اجتهد الباحث في وضع إطار مرجعي يوضح موقع المكتبات الجامعية في عالم مصادر المعلومات على النحو الموضح في الشكل رقم (١) .

الشكل رقم (١) المكتبات الجامعية وموقعها في خارطة المعلومات



ويتبين من الشكل السابق موقع المكتبة الجامعية في خارطة مصادر المعلومات لمنسوبي الجامعات من طلبة وأساتذة وباحثين وموظفين ، حيث يتضح جليّاً أن هؤلاء المنسوبين محاطين بمصادر عديدة من بينها المكتبة التي قد تلبي الاحتياجات البحثية وقد لا تلبيها اعتماداً على مدى النظرة إلى أهميتها كمصدر للمعلومات . ويؤيد هذه الحقيقة ما توصلت إليه ناب KNAPP منذ مدة طويلة في دراستها حول مدى تأثير المكتبة على الطالب الجامعي من أن موقف الأستاذ من المكتبة ونظرته لأهميتها في العملية التعليمية والبحثية هو الذي يحدد مدى هذا التأثير.

فالطالب لا يحرص عادة على الرجوع إلى المكتبة إلا إذا كان الأستاذ يدفعه إلى ذلك ويجازيه على هذا السلوك (KNAPP : 1959, 29) .

وقد ثارت ناب على مقولة إن المكتبة هي قلب الجامعة النابض وهي مركز العملية التعليمية في الحرم الجامعي، حيث تعتقد إن هذه المقولة السائدة تصدق نظرياً ولكنها قد لا تصدق عملياً وقد لا نلمسها على أرض الواقع . ذلك أن المكانة الحقيقية للمكتبة تتحدد من خلال إيمان الأساتذة بقيمتها واستخدامهم لها في وظيفتي التدريس والبحث العلمي (KNAPP : 1958, 828 - 831) . ورغم قدم دراسة ناب المشار إليها فقد تم الاستشهاد بها هنا لأنها كانت - ولا تزال - تمثل عملاً رائداً في المجال، حيث عملت على تغيير الاعتقاد السائد بأن المكتبة هي الشريان الحيوي للجامعة، وأثبتت أن هذا لا يسهل دائمًا ترجمته إلى واقع محسوس . ثم أتى بعد ذلك ريتر RITTER ليعزز ما ذهبت إليه ناب وليؤكد في دراسته عدم وجود علاقة بين استخدام المكتبة وتفوق الطالب أكاديمياً . الأمر الذي حدا به إلى الاعتقاد بأن المكتبة ليست بالضرورة أداة مساندة للتعليم الجامعي كما يزعم البعض، حيث يمكن أن ينهي الطالب متطلبات الجامعة بتفوق دون الاعتماد على المكتبة (RITTER : 1968, 31 - 32) .

ووجد السالم بناء على قراءاته في مجال المكتبات الأكاديمية وبناء على ملاحظاته الشخصية أن غالبية منسوبي الجامعات خاصة الأساتذة لا يعتمدون على مكتبات الجامعات التي ينتمون إليها في بحثهم عن المعلومات المطلوبة، رغم أنهم من أكثر الناس تعطشًا للمعلومات وحرصًا على البحث عنها في مظانها كافة ورغم أنهم يستخدمون قدرًا كبيرًا من مصادر المعلومات المتوافرة خارج الحرم الجامعي ، مما قد يوحي بأن المكتبات الجامعية تعد أقل أهمية من بقية المصادر . وهو أمر يثير الاستغراب إذا وضع في إطار قرب المكتبات الجامعية من متناول منسوبي الجامعات واحتوائها على أعداد ضخمة من أوعية المعلومات . فلماذا والحالة هذه يزهد فيها الغالبية ولا تستخدم بالصورة المطلوبة في إنجاز المشاريع الأكاديمية خاصة التدريس والبحث العلمي ؟ هل يكمن السبب في أن تلك المكتبات لا تلبي الاحتياجات الأكاديمية؟ وبالتالي فيكون البديل هو الاعتماد على المصادر الأخرى مثل المكتبات الشخصية ومكتبات الزملاء والأصدقاء والاشتراك في المجلات العلمية وحضور الندوات والمؤتمرات المهنية والاتصالات الشخصية والهاتفية مع زملاء المهنة داخل الجامعة وخارجها واستخدام قواعد المعلومات وشبكاتها والبريد الإلكتروني (AL-SALEM: 1989) .

وتشير الدراسات إلى أن هناك تفاوتًا في اتجاهات أعضاء هيئة التدريس نحو استخدام المكتبات الجامعية وغيرها من مصادر المعلومات الأخرى طبقًا لاعتبارات عديدة من بينها المرحلة التي قطعها الباحث في مشروع بحثه ومدى قرب أو بعد المصدر من متناوله . ففي المرحلة الأولى من البحث (بلورة المشكلة) يعتمد الباحث على المصادر القريبة من متناوله بشكل مكثف كالمكتبة الخاصة ومكتبة القسم ومكتبة الكلية وفي بعض الأحيان مكتبة الجامعة المركزية . وفي المرحلة الثانية (تجميع أدبيات الموضوع) يركز الباحث على استخدام الرسائل الجامعية والدوريات (مصادر تتوافر عادة في المكتبات الجامعية) ويستعين بالمؤسسات الحكومية والخاصة (مصادر خارج الحرم الجامعي) . وفي المرحلة الأخيرة (تحليل النتائج ومناقشتها ووضعها في إطار الدراسات السابقة) يتركز استخدام الباحث على الوثائق الشخصية وتقارير البحث والاتصالات الشخصية ونحوها من المصادر التي تتوافر غالبًا خارج مكتبات الجامعات (بوعزة وقدورة : ١٤١٤ ، ٤١٠ - ٤١١) .

ومما سبق يمكن القول إنه رغم أن الفرضية التي بنيت عليها الدراسة الحالية هي أن للمكتبات الجامعية دوراً مهماً في إنجاز الأعمال البحثية ؛ فإن إثبات هذه النظرية أو نفيها يحتاج إلى دراسات متعمقة . ذلك أن هذه الأهمية نسبية وتختلف من شخص لآخر ومن جامعة لأخرى، وذلك بحسب الظروف المحيطة وبحسب الوضع المسيطر على مصادر المعلومات في البيئة . ولكي يكون الباحث محايداً في حكمه على الأهمية المشار إليها فالأولى دراسة المستفيدين في الحرم الجامعي في محيطهم الواسع الذي

يشمل كل مصادر المعلومات المتوافرة في البيئة بما في ذلك مكتبات الجامعات التي ينتمون إليها . ومرة أخرى فلعل نظرة فاحصة إلى الشكل رقم (١) الذي سبق توضيحه تظهر أن هذا الشكل يضع المكتبة الجامعية في حجمها الحقيقي وفي مكانها المناسب في عالم المعلومات .

البحوث النظرية في المجال :

من اللافت للنظر أنه رغم كثرة ماكتب عن المكتبات الجامعية إلا أن غالبية الكتابات التي تناولت وضعية المكتبات الجامعية (أو مكتبات مؤسسات التعليم العالي) خاصة في الوطن العربي تنصب على معالجة الجوانب الفنية والإدارية وبناء المجموعات وتصنيفها وفهرستها وقليل منها تناول الوظائف والأدوار الملقاة على عاتق تلك المكتبات كأجهزة لها خاصيتها في إطار التعليم العالي (الغضاب : ١٩٩٤ ، ٢٦٣) . ومن بين هذا الكم القليل من الكتابات يوجد عدد محدود من البحوث النظرية والدراسات العلمية التي ركزت على الوظيفة البحثية للمكتبات الجامعية على وجه الخصوص .

ونبدأ أولاً بعرض الجانب النظري من الإنتاج الفكري المتعلق بموضوع المكتبات الجامعية ودورها في البحث العلمي . وفي هذا الصدد يلاحظ أن أبرز المحاور التي تناولها الباحثون تتلخص فيما يلي :

١ - المكتبات الجامعية كدعامة للبحث العلمي .

٢ - وظائف المكتبات الجامعية وخدماتها (خاصة تلك الموجهة نحو البحث العلمي) .

٣ - المشكلات التي تواجه المكتبات الجامعية وتؤثر على تأدية رسالتها البحثية ، والحلول المطروحة .

وتحت كل محور من المحاور الثلاثة المشار إليها تم معالجة بعض المتغيرات . ففيما يتعلق بالمحور الأول حول المكتبات الجامعية كدعامة للبحث العلمي فقد تناوله بعض الباحثين من بينهم الغضاب ، وعبيد ، وعليان ، وسلطان والعبيدي (الغضاب : ١٩٩٤ ؛ عبيد ١٩٩٤ ؛ عليان : ١٩٩٤ ؛ سلطان والعبيدي : ١٤٠٤) ، حيث أفاض الغضاب في مناقشة أهمية المكتبات الجامعية ومكانتها في مؤسسات التعليم العالي . فالمكتبات - في نظره - هي التي تقوم بمهمة تجميع المعرفة البشرية وحفظها وتيسير استخدامها للباحثين وتزوّدهم بالجديد في مجالاتهم . كما أن المكتبات هي أقدم مصادر المعرفة وتعد من أهم المعايير العلمية المستخدمة في تقويم الجامعات والحكم عليها والاعتراف بها . فهي ليست مجرد مخازن للكتب ولكنها أجهزة مهمة في الجامعات تعتمد عليها في القيام بوظيفتها البحثية . كما أن المكتبات بالتالي تستمد أهدافها من أهداف الجامعات التي تقوم بخدمتها (الغضاب : ١٩٩٤، ٢٦٥ - ٢٢٦) .

وأيضًا في سياق المحور الأول فقد لاحظ عبيد أن هناك اتفاقًا بين الباحثين في نظرتهم للأهمية الملقاة على مكتبات الجامعات كركيزة أساسية للبحث العلمي إلا أنه في الوقت نفسه لاحظ أن هناك تفاوتًا في وجهات النظر تجاه هذا النوع من المكتبات نتيجة لتفاوت التخصصات التي ينتمي إليها الباحثون في المحيط الأكاديمي فبينما يتطلع المنتمون للمجالات الإنسانية والاجتماعية إلى توفير كل ما هو مطبوع في المكتبة ، فإن المنتمين للمجالات العلمية والتقنية يتطلعون إلى التقليل من المواد القديمة ويفضلون استخدام الدوريات والكتب الحديثة والنشرات التجارية ، كما تتركز احتياجاتهم البحثية حول تلخيص المقالات العلمية وإعداد القوائم البيليوجرافية وأعمال التكشيف ونحو ذلك من الاحتياجات التي قد تتوافر في المكتبات وقد تتوافر في مصادر أخرى خارج المكتبات (عبيد : ١٩٩٤ ، ٢٥٠) .

ويذهب عليان إلى أن المكتبات الجامعية يمكن أن تسهم في تحقيق أهداف الجامعات التي تخدمها من خلال قيامها بمجموعة من الوظائف التي تخدم البحث والباحثين على النحو التالي :

- اختيار واقتناء مصادر المعلومات المختلفة التي تسهم في تعزيز برامج البحوث في الجامعات .
- تيسير سبل البحث العلمي من خلال تسهيل وصول الطلبة والأساتذة والباحثين إلى مصادر المعرفة .
- إعداد الفهارس والأدلة التي ترشد المستفيدين وتساعدهم على الوصول إلى المواد المطلوبة .
- تقديم الخدمات المكتبية والمعلوماتية للوسط الأكاديمي

بما يساعده على إنجاز البحوث مع توفير الوقت والجهد.

- توفير التجهيزات المادية التي تسهل عملية البحث العلمي بما في ذلك توفير القاعات المناسبة والأثاث الجيد ومراعاة جوانب التهوية والإضاءة والتدفئة والتكييف .
- تدريب الباحثين على استخدام المكتبة والإفادة من مصادرها من خلال تنفيذ البرامج التدريبية المناسبة .
- العمل كمركز لتجميع البحوث والدراسات التي يقوم بها المجتمع الأكاديمي والإعلام عنها عن طريق إعداد الببليوجرافيات وغيرها من أدوات تسويق المعلومات.
- إصدار النشرات والببليوجرافيات التي تسهم في تيسير البحث العلمي وتحيط المستفيدين بما يجد في المكتبة من نشاطات وإنجازات .
- تطوير برامج التعاون والتنسيق مع مؤسسات المعلومات الأخرى خاصة المكتبات الجامعية (عليان : ١٩٩٤، ٣٠٨ - ٣٠٩) .

ويؤكد سلطان والعبيدي على أن المكتبات تعد أهم وسيلة من وسائل البحث العلمي لأنها مصدر المعلومات الأمر الذي يوحي بضرورة استغلال مكتبات الجامعات استغلالاً جيداً من خلال تعريف الباحثين بنظام تلك المكتبات وإطلاعهم على أساليب الفهرسة والتصنيف المستخدمة ، وإحاطتهم بما يتوافر من الأدلة والكشافات والمستخلصات وغيرها من أدوات البحث العلمي التي تحتوي عليها المكتبات (سلطان والعبيدي : ١٤٠٤، ١٣٦) .

وإذا كانت مهمة تأهيل الباحثين الذين يسهمون في بناء المجتمع وإثراء التراكم المعرفي تقع على عاتق الجامعات ، فإن هذا التأهيل لن يتم بالصورة المطلوبة إلا إذا عملت الجامعات على توفير المعلومات لمنسوبيها وتأمين المرافق والتجهيزات التي تساعد على تقدم البحث العلمي ومن أهمها المكتبة التي تعد جزءًا لا يتجزأ من العملية البحثية للجامعة . ومن هنا يبرز دور المكتبة الجامعية التي ينتظر منها أن تقوم بتجميع مصادر المعلومات الحديثة وتنظيمها وتيسير استخدامها للباحثين ومدهم بالخدمات التي تسهل عليهم إنجاز مشاريعهم البحثية . ويشير بلوش إلى أن المكتبة الجامعية تحتل مكانًا متميزًا في النظام الوطني للمعلومات نظرًا لما يتوافر بها عادة من العاملين المؤهلين ومن المصادر المتاحة للراغبين في البحث العلمي من داخل الجامعة وخارجها . بل إنه لا يمكن تصور جامعة دون بحث علمي مما يعني أنه لا يمكن تصور جامعة من دون مكتبة . ذلك أن المكتبة هي الشريان الحيوي للجامعة وهي ركيزة أساسية من ركائز البحث العلمي (بلوش : ١٩٩٤، ٨١) .

ويتمثل الدور البحثي للمكتبات الجامعية - في نظر الغضاب - في جوانب عديدة من أهمها متابعة الإنتاج الفكري العالمي والحصول على أحدث المنشورات بمختلف الأشكال والعمل على إعداد الكشافات والمستخلصات والإفادة من نظم وقواعد المعلومات المحلية والعالمية ، مما يساعد على النهوض بالمستوى الفكري للمجتمع الأكاديمي وتجديد العلوم والمعارف للمنتمين إلى هذا المجتمع ، كما أنها تساعد أيضًا على مسايرة التقدم العلمي العالمي من خلال إحاطة الأعضاء بما كتبه الآخرون . وتعمل المكتبة أيضًا على التحكم في الفيض الهائل من الإنتاج الفكري والسيطرة عليه وتنظيمه وتيسير استخدامه للباحثين من خلال توفير الأدلة والببليوجرافيات وتوفير المراجع الإرشادية في المجالات العلمية التي تقتضيها استراتيجيات البحث في الجامعة التي تنتمي إليها وتشجع على الاستزادة من المعرفة والتعلم الذاتي وتعليم الباحثين كيفية استخدام ما يتوافر بها من مصادر وتجهيزات والاستجابة لاحتياجات المستفيدين المعلوماتية . كما أن مكتبة الجامعة تنمي روح البحث العلمي لدى طلاب الدراسات العليا وتدربهم على طرق البحث وتعرفهم بمناهجه وتوضح لهم كيفية استخدام أدوات البحث المتوافرة في المكتبات ، وتضع وسائل الضبط الببليوجرافي وأدوات استرجاع المصادر تحت تصرف الباحثين . ولذا يمكن القول إن للمكتبات الجامعية دورًا لا ينكر في تجهيز المعلومات التي تخدم الباحثين في الجامعات فهي توفر وقتهم وجهدهم وتساعد إلى تعرفهم على ما ينشر في مجالات اختصاصهم (الغضاب : ١٩٩٤ ، ٢٧٠ - ٢٧١).

هذا عن دور المكتبات الجامعية في خدمة الأساتذة وطلبة الدراسات العليا في مجال البحث العلمي ، أما عن دور تلك المكتبات في خدمة مجتمع طلبة المرحلة الجامعية فإن هذا الدور يتضح بشكل أكثر من خلال ما تقوم به تلك المكتبات من العمل على تنظيم معارض للكتب تساعد الطلاب على التعرف إلى الإنتاج الفكري في مجالات اهتماماتهم ، وتعويدهم على البحث عن الحقائق بأنفسهم من خلال إتاحة الفهارس وأدوات استرجاع المعلومات الأخرى، وإكسابهم مهارات التعلم الذاتي والتعامل مع مصادر المكتبة (عبيد : ١٩٩٣ ، ٢٣٣ - ٢٣٤) .

ويذهب قدورة إلى أن المكتبات الجامعية تمثل أحد المعايير الأساسية في تقويم الجامعات والاعتراف بشهاداتها مما يعني أنه لا يمكن أن تؤدي الجامعة رسالتها إلا إذا اعتمدت على مكتبة حديثة ومتجددة . فالمكتبة تسهم إسهامًا كبيرًا في دفع البحث العلمي بالجامعة من خلال عدة وسائل، من بينها :

- متابعة برامج البحوث المرسومة من لدن الجامعة بغرض اقتناء الوثائق الملائمة لاحتياجات الباحثين .
- تغذية مستمرة لمجموعات المكتبة بالمواد الجديدة والتعاون مع الجهات الأخرى في عمليات التزويد .
- تقديم خدمات مرجعية متنوعة للباحثين بما في ذلك خدمات التوجيه والإرشاد والإجابة عن الاستفسارات وإعداد قوائم ببليوجرافية حول موضوع محدد .
- تجهيز المعلومات التي تهم الباحثين بالتعاون مع المكتبات الأخرى إذا لزم الأمر .
- نشر الرسائل المتميزة والبحوث القيمة التي تمت مناقشتها في الجامعة (قدورة : ١٩٨٦ ، ١١١ - ١١٢).

وفيما يتعلق بالمحور الثاني حول وظائف المكتبات الجامعية وخدماتها خاصة تلك الموجهة للبحث العلمي فيناقش عليان هذا الجانب بشكل شمولي، حيث يعرض خدمات المكتبات الجامعية تحت ثمانية عناصر على النحو التالي :

١ - **خدمات الإعارة**، وتشمل الاطلاع الداخلي والإعارة الخارجية وحجز الكتب عند استرجاعها لبعض المستفيدين والإعارة المتبادلة بين المكتبات الجامعية .

٢ - **الخدمات المرجعية**، وتشمل الخدمات المباشرة (الإجابة عن الأسئلة المطروحة ، وإرشاد الرواد وتوجيههم إلى المصادر التي تحتوي عليها المكتبة ، وتعليم الرواد وتدريبهم على استخدام المراجع ، وإعداد قوائم ببليوجرافية) والخدمات غير المباشرة (اختيار المراجع المناسبة ، وترتيبها على الأرفف ، وتبادل المراجع والخدمات المرجعية مع المكتبات ومراكز المعلومات الأخرى ، وتقويم المراجع المتوافرة والخدمات المرجعية المقدمة) .

٣ - **الخدمات الببليوجرافية**، وتشمل حصر ما صدر في موضوع معين أو بلغة معينة أو لمؤلف معين أو عن مؤسسة معينة أو لفئة معينة من القراء ، كما قد تضم ما كتب في بلد معين أو إقليم جغرافي معين .

٤ - **خدمات التكشيف والاستخلاص**، وتشمل الاشتراك في دوريات التكشيف والاستخلاص وتقديمها للباحثين ، وعمل الكشافات والمستخلصات لمصادر المعلومات المتوافرة ، وتدريب الباحثين على التعامل معها، والاشتراك في نظم وشبكات المعلومات التي تقدم خدمات التكشيف والاستخلاص آليًا .

٥ - **خدمات الإحاطة الجارية**، وتشمل صحيفة المكتبة ونشرات الإضافات الجديدة والاتصال الهاتفي ولوحة الإعلانات والعرض وتداول الدوريات وتنظيم معارض للكتب وخدمات البث الانتقائي للمعلومات .

٦ - **خدمات الاتصال المباشر**، وتشمل خدمات البحث في قواعد المعلومات ونظمها، حيث يتم استرجاع المعلومات بشكل فوري ومباشر عن طريق الحاسوب والمحطات الطرفية .

٧ - **خدمات تدريب المستفيدين**، وتشمل تعليم المستفيدين وتدريبهم على التعامل مع مصادر المعلومات المختلفة وسبل تنظيمها وطرق استرجاعها وكيفية استخدامها للأغراض المختلفة .

٨ - **خدمات التصوير**، وتشمل التصوير الفوتوستاتي والتصوير المصغر على الميكروفلم أو الميكروفش .

والعبرة بالطبع ليست في عدد الخدمات المقدمة ولكنها في مستوى عمق تلك الخدمات وفاعليتها ومدى إشباعها لاحتياجات المستفيدين من المعلومات لمختلف الأغراض البحثية ومدى رضاهم عنها (عليان : ١٩٩٤ ، ٢١٤ - ٢٣٥).

وينبغي أن لا يقتصر دور المكتبات الجامعية على الوظيفة التقليدية المتمثلة في حفظ الكتب وأوعية المعلومات الأخرى بل يمتد إلى أبعد من ذلك بحيث يشمل وظائف أخرى من بينها :

- التعريف بالخدمات المكتبية التي تحتوي عليها المكتبات الجامعية .
- توفير المكان الهادئ للقراءة وخلوات البحث .
- متابعة الإصدارات الحديثة في المجالات التي يهتم بها منسوبو الجامعات .
- إكساب المستفيدين مهارات الحصول على مصادر المعرفة .
- القيام ببعض النشاطات التي تربط بين المصادر والمستفيدين مثل أسبوع المكتبة، وعرض الكتب بطريقة جيدة (سلطان والعبيدي : ١٤٠٤، ١١٦ - ١١٧) .

وفيما يتعلق بالمحور الثالث حول المشكلات والصعوبات التي تواجه المكتبات الجامعية فقد عالج هذا المحور عدة باحثين في عدة بيئات ، من بينهم الغضاب الذي عالج القضية بشكل عام مع التركيز على الوضع في بيئة مؤسسات التعليم العالي في تونس، حيث يشير إلى أن معظم المكتبات هناك تقليدية ولا تشارك بشكل إيجابي في البحث العلمي لأسباب عديدة من بينها :

- عدم استيعاب ومتابعة الإنتاج الفكري العالمي نظراً لضخامة هذا الإنتاج من ناحية ولقلة موارد المكتبات من ناحية أخرى .
- كثرة أعداد الطلبة المقبولين في الجامعات والمترددين على المكتبات في مقابل قلة أعداد العاملين في المكتبات .
- ضعف ميزانيات المكتبات وتجهيزاتها ، وقلة مقتنياتها خاصة الدوريات العلمية .
- غياب لقاءات العاملين في المكتبات الجامعية بصفة دورية ونقص الدورات التدريبية وبرامج التعليم المستمر التي تمكن العاملين من الوقوف على التطورات في المهنة.
- عدم الالتزام بالمعايير الدولية في تقديم الخدمات ، وضعف التعاون والتنسيق بين مكتبات الجامعات (الغضاب : ١٩٩٤، ٢٧٨ - ٢٧٩) .

وتكمن الحلول للمشكلات السابقة في إنشاء شبكة من المكتبات الجامعية المربوطة بمؤسسات المعلومات الأخرى على المستويات المحلية والعربية والدولية في إطار سياسة للمعلومات في البلد وتشريع ينظم تقديم الخدمات للباحثين في مؤسسات التعليم العالي ، ووضع أطر تنظم مسار المعلومات ومعاملة المكتبيين العاملين في مكتبات الجامعات معاملة أعضاء هيئة التدريس ، وإعفاء الكتب العلمية والدوريات المهنية من الرسوم الجمركية حتى يسهل توفيرها للباحثين ، والاهتمام ببرامج التنمية المهنية للمكتبيين، وتعزيز برامج التبادل في مصادر المعلومات والإعارات بين المكتبات الجامعية ، وتوجيه الباحثين إلى مصادر البحث وتدريبهم على استخدامها وتذليل جميع الصعوبات التي تعترض طريق البحث العلمي بالإضافة إلى تجهيز المكتبات بالوسائل التقنية المعاصرة (الغضاب : ١٩٩٤، ٢٨٠) .

كما لاحظ عليان أنه رغم أن وضع المكتبات الجامعية يعد إلى حد ما أفضل من وضع المكتبات الأخرى فهي ما زالت تواجه بعض الصعوبات التي تحد من انطلاقتها ومن قدرتها على تقديم خدمات تعزز وضعية البحث العلمي في الجامعات، ومن بينها عدم تفهم إدارة الجامعة لطبيعة العمل المكتبي ومتطلباته المختلفة ولأهمية المكتبة ودورها في العملية البحثية وعدم توافر الميزانية الكافية . وتعد هذه الأخيرة من أكثر المشكلات خطورة لأن نقص الميزانية يؤثر على الجوانب الأخرى كالتوظيف والتدريب والتزويد وتجهيز المكتبات بالتقنية وبالأثاث المناسب (عليان : ١٩٩٤، ٣١٠ - ٣١١) .

وأيضًا في إطار المشكلات والصعوبات التي تحد من الدور البحثي للمكتبات الجامعية فقد لاحظ الهبايلي في بحثه الموسوم : " المكتبة الجامعية الإلكترونية والبحث العلمي" أن المكتبات الجامعية في الوقت الراهن تمر بأزمات عديدة نتيجة لازدياد أوعية المعلومات وتعدد أشكالها، ونتيجة لاحتياجات المستفيدين الملحة إلى أوعية

حديثة ومتطورة مما يضع تبعات على المسئولين عن هذا النوع من المكتبات، ويجعل إرضاء المستفيدين أمرًا عسيرًا. ومع أن تلك المؤسسات المعلوماتية في أنحاء العالم تمر بمرحلة انتقالية نتيجة تطور البحث العلمي والتقني ؛ فإن المكتبات الجامعية العربية مازالت غير قادرة على مواجهة عدد الطلاب الجامعيين الذي هو في ازدياد مضطرد ، علاوة على زيادة عدد الأساتذة والباحثين . ويكمن الحل – في نظر الهبايلي – في مسايرة التطور ومجاراة روح العصر من خلال التحول من المكتبة التقليدية الورقية إلى المكتبة الإلكترونية المتطورة . وهي مكتبة المستقبل التي ينبغي التخطيط لها وتصميمها بشكل نموذجي من حيث الاقتناء والتخزين والمعالجة بأحدث الطرق والوسائل التقنية الحديثة . وتمتاز هذه المكتبة الإلكترونية بالتطورات العصرية في العمليات الفنية مثل البث الانتقائي للمعلومات والإعداد الآلي للمكانز والمعاجم الوسيطة والنشر الإلكتروني والمؤتمرات الإلكترونية والبريد الإلكتروني . وبينما خطت المكتبات الأمريكية خطوات جبارة في هذا المجال فإن مكتباتنا العربية مازالت في بداية الطريق في تبني تلك الخدمات التي تعد ضرورية لتقدم البحث العلمي وتطوره (الهبايلي : ١٩٩٤ب ، ٣٥٠ – ٣٥٥) .

وقد أحدث النشر الإلكتروني تغيراً جذرياً في مفهوم المكتبة الحديثة، حيث أصبح بإمكان الباحث الوصول إلى المعلومات عن طريق الحاسوب مما يساعد بالتالي على تحسين الوصول إلى المعلومات واسترجاعها، كما أن هذا النوع من النشر سيقلل من الاعتماد على الكتب والمكتبات والمكتبيين لأنه يمكّن الباحث من الحصول على المعلومات وهو في مكان عمله عن طريق الطرفيات التي في متناوله . وهذا يوحي بأن سياسة تنمية المجموعات بدأت تتغير في المكتبات ؛ فبدلاً من التركيز على اقتناء أوعية المعلومات أصبح التركيز على اقتناء الأجهزة التي تساعد على الوصول إلى المعلومات نفسها مما قد يترتب عليه توفير الحجم والمكان، والتخلص من تكاليف اشتراكات الدوريات والموسوعات والمعاجم . كما أن للبريد الإلكتروني أيضًا دورًا فاعلاً في تطوير البحث العلمي حيث يعمل على تبادل المعلومات بين الباحثين في الجامعات ومراكز البحوث على الرغم من تباعد أماكنهم ، ويسهل الاستشارات العلمية وتبادل الآراء ، كما يؤدي إلى توفير الوقت وتحسين وضعية البحوث والدراسات . وقد أصبح تأثير العصر الإلكتروني على البحث العلمي واضحًا في مكتبات العالم المتقدم مع ما صحبه من تغييرات جذرية في المكتبات التقليدية من حيث مجموعاتها وخدماتها وإجراءاتها وأجهزتها (الهبايلي : ١٩٩٤ب ، ٣٥٨ – ٣٥٩) .

وفي مراجعته للدراسات المنشورة وغير المنشورة المتعلقة بصعوبات استخدام الطلبة للمكتبات الجامعية العربية لاحظ الخاروف أنه من الممكن تقسيم هذا النوع من الدراسات إلى قسمين هما :

١ – دراسات الاتجاهات والمشكلات : وهي تهدف إلى استقصاء آراء واتجاهات المستفيدين نحو المكتبات من حيث كفاية مصادرها وفعالية خدماتها وموظفيها وتسهيلاتها المادية . والهدف النهائي هو تقويم الأداء العام للمكتبات والتعرف إلى نقاط القوة والضعف في مجموعاتها وخدماتها والكشف عن مدى رضا أو عدم رضا المستفيدين عن أداء المكتبات وفعاليتها بشكل عام .

٢ – دراسات الصعوبات التي تواجه المستفيدين في استخدام المكتبات : وهي تشمل الصعوبات الإدارية والصعوبات المتعلقة بالخدمات (استخدام المبنى والأثاث وموقع المكتبة ولوائحها وتعليماتها وساعات العمل بها والجو العام في المكتبة والعلاقة مع موظفيها والاستفادة من الخدمات العامة التي تقدمها المكتبات مثل الإعارة والمراجع والإرشاد والتصوير)، والصعوبات الفنية (استخدام فهارس المكتبة ، وتنظيم مجموعات المكتبة ومصادرها ، ومدى سهولة أو صعوبة الوصول إليها على الرفوف) (الخاروف : ١٤١٢ ، ٥١٥) . ويرى الخاروف «أن هناك ارتباطًا وثيقًا بين دراسات الاتجاهات وبين دراسات الصعوبات لأن كلا منهما يهتم بقضايا استخدام المكتبات ، وبالعلاقة بين المستفيدين وبين المكتبات. كما أن هناك العديد من دراسات الاتجاهات التي تحاول أن تستقصي الصعوبات والمشكلات التي تواجه المستفيدين في

استخدام المكتبات ، على الرغم من أن هدفها الرئيس هو التعرف على آراء واتجاهات المستفيدين نحو المكتبات» (الخاروف : ١٤١٢ ، ٥١٥) .

كما وجد منفيحي في استطلاع ميداني أجراه حول معوقات البحث العلمي لمنسوبي الجامعات في بعض الجامعات السعودية أن من بين أبرز تلك المعوقات مركزية مكتبة الجامعة ، وبعدها عن العمل ، وقلة ساعات عملها، وعدم توافر الكتب والمراجع والدوريات الحديثة، وعدم توافر الفهرسة المحسبة للمراجع والموضوعات (منفيحي : ١٤٠٩، ١٠) . بينما وجد العقيلي أن من أهم المعوقات التي تحول دون تحقيق البحث العلمي في جامعات المملكة لكامل الأهداف التي ينشدها قلة مقتنيات مكتبات تلك الجامعات من المصادر الأجنبية (العقيلي : ١٩٨٤، ١٣٢) .

ولقد خرج المؤتمر الثالث للوزراء المسئولين عن التعليم الثالث والبحث العلمي في الوطن العربي المنعقد في بغداد للفترة ما بين ٨ - ١١ صفر ١٤٠٦هـ الموافق ٢٢ - ٢٥ نوفمبر ١٩٨٥م بمجموعة من التوصيات التي تعمل على تعزيز البحث العلمي كان من بينها التأكيد على إثراء المكتبات الجامعية وتزويدها بالكتب والدوريات الحديثة التي تلبي احتياجات الأساتذة والباحثين (توصيات المؤتمر الثالث : ١٤٠٦، ١٤٦ - ١٥٢) .

وحقيقة الأمر أن المكتبات الجامعية العربية تواجه مشكلات عديدة وتعاني من صعاب كثيرة تحد من الدور الملقى عليها كدعامة من أهم دعائم البحث العلمي . وفي هذا الإطار لاحظ أبو شيخة افتقار مكتبات مؤسسات التعليم العالي في العالم العربي إلى المراجع والفهارس وملخصات البحوث التي تساعد أعضاء هيئة التدريس والطلبة والباحثين على إنجاز البحوث والدراسات، وغياب الببليوجرافية الوطنية في بعض الدول العربية مما يضع صعوبات أمام وصول الباحث إلى المصادر المطلوبة (أبو شيخة : ١٩٨٦، ٥١) .

وفي الإطار نفسه وشعوراً من الاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات بمسئوليته تجاه تعزيز دور المكتبة الجامعية في البحث العلمي فقد بادر بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات ومركز التوثيق القومي بتونس بتنظيم الندوة العربية الرابعة للمعلومات بعنوان : "**المكتبات الجامعية دعامة للبحث العلمي والعمل التربوي في الوطن العربي**" للفترة ما بين ٤ - ٦ ديسمبر ١٩٩٣ . وقد عالجت البحوث المقدمة للندوة علاقة المكتبات الجامعية بالبحث العلمي والوضع الراهن لتلك المكتبات والقضايا والتحديات التي تواجهها وتحد من طموحاتها بما في ذلك الجوانب الفنية والإدارية والبشرية والتقنية ، والشروط الواجب توافرها للمكتبة لكي تصبح دعامة حقيقية للبحث العلمي (الهبايلي : ١٩٩٤، ٧) .

ومن بين الموضوعات التي عالجتها الندوة المشار إليها موضوع تقنية المعلومات الحديثة وطرق استغلالها في المكتبات الجامعية لدعم البحث العلمي حيث شارك الأبراهيم ببحث عنوانه : "التقنيات الحديثة وشبكات المعلومات في المكتبات الجامعية" ، يناقش فيه ضرورة استخدام برامج فاعلة لاستغلال التقنية الحديثة وربط المكتبات الجامعية بالجهات الأخرى من مكتبات جامعية وهيئات أكاديمية ومراكز المعلومات الأخرى من خلال تكوين شبكة معلومات محلية وإقليمية تساعد على القيام بالدور التعاوني في مجال المكتبات الجامعية ، وهو أمر تحتمه ظروف العصر وضرورة الحصول على المعلومات بالسرعة المطلوبة . وهذا يمكن أن يتحقق من خلال استخدام الحاسوب والوسائل التقنية الأخرى المتطورة في مجال البحث الآلي والأقراص المليزرة والوسائل السمعية والبصرية والمصغرات الفلمية ونحوها من وسائل الاتصالات الحديثة التي تساعد في الحصول على المعلومات بأيسر الطرق وأسرعها وتقدم خدمات جليلة للباحثين (الابراهيم : ١٩٩٤، ١٧ - ١٨) .

وغني عن الذكر أن التقنية تمثل عنصراً جوهرياً من عناصر تعزيز الدور البحثي لمكتبات الجامعات خاصة مع مشكلة تضخم الإنتاج الفكري وانفجار المعلومات وتعدد لغاتها وتباين أحجامها وتفاوت أشكالها ومع هذا السيل المنهمر من المطبوعات الذي تلفظه المطابع بشكل لافت

للنظر . وهذه المشكلة جعلت المكتبات الجامعية عاجزة عن الحصول على جميع ما يصدر من إنتاج فكري وعاجزة عن التعامل مع هذا الوضع بالطرق اليدوية التقليدية . وأصبحت عملية مكننة المكتبة وأتمتة عملياتها شراً لابد منه في هذا العصر الذي تعقدت فيه احتياجات منسوبي الجامعات وتنوعت اهتماماتهم، وبرزت فيه ظاهرة التخصص الدقيق بشكل بارز (الأبراهيم : ١٩٩٤، ١٧) .

ولكي تثبت المكتبة وجودها في مجال البحث العلمي فلابد من مشاركتها في نظم شبكات المعلومات INFORMATION NETWORKS SYSTEMS ، حيث يمكن من خلال الشبكة تحقيق أكبر استفادة من مصادر المعلومات المتوافرة على مستوى الجامعات والهيئات الأكاديمية الأخرى في الدولة أو خارجها . ولابد من التعاون والتنسيق في اقتناء وتنظيم مصادر المعلومات التي تزداد بصورة تصاعدية مع مرور الزمن مما يسهم بالتالي في رفع مستوى البحث والباحثين في الجامعات . ذلك أنه مهما تكن ميزانية المكتبة كبيرة ومهما يتوافر لها من الأموال والتجهيزات فلن يكون باستطاعتها الحصول على جميع مايصدر في السوق من إنتاج فكري . ولذا فلا مناص من وضع خطة للتعاون والتنسيق بين المكتبات الجامعية بما في ذلك ترشيد سياستها التزويدية بحيث يتم شراء أكبر عدد ممكن من المواد دون الحاجة إلى تكرار شرائها من لدن أكثر من مكتبة (الأبراهيم : ١٩٩٤ ، ٢٦) . وينتج عادة عن الاشتراك في الشبكات التعاونية الحصول على خدمات عديدة تعزز حركة البحث العلمي من بينها الإعارة بين المكتبات ، والخدمات الببليوجرافية ، والتزويد التعاوني، وخدمات المراجع والإحالة ، وخدمات الإحاطة الجارية والبث الانتقائي للمعلومات، بالإضافة إلى خدمات تدريب المستفيدين وخدمات البحث الآلي الذي يساعد المستفيد على الاتصال المباشر بقواعد المعلومات ومراصدها مهما بعدت المسافة بينه وبين تلك المراصد .

وأيضاً من بين الموضوعات التي عالجتها ندوة تونس المذكورة مما له صلة بتعزيز البحث العلمي موضوع التعاون بين مكتبات جامعات الدول الخليجية وإنشاء شبكة معلوماتية لربط المكتبات الجامعية . ويعتقد الأبراهيم أنه لكي تتحقق فكرة الربط على المستوى الإقليمي فلابد من العمل على ما يلي :

- الإسهام المباشر من لدن المكتبات الجامعية في برامج الضبط الببليوجرافي ، والاتفاق على توحيد وتطبيق الأساليب الببليوجرافية المتعلقة بتبادل المواد بين الدول المشاركة في الشبكة .
- تشجيع برامج التعاون بين الدول خاصة الإعارة بين المكتبات .
- إجراء دراسات مسحية للتعرف إلى واقع المكتبات الجامعية محلياً وإقليمياً (الأبراهيم: ١٩٩٤، ٢٦ - ٢٧) .

والواقع أن الربط الشبكي الذي يقترحه الأبراهيم يمثل هدفًا رئيسًا من أهداف التعاون بمفهومه الشامل كما عبر عنه الاجتماع الرابع لعمداء ومسئولي مكتبات جامعات الدول الأعضاء بمكتب التربية العربي لدول الخليج الذي تضمن توصيات من بينها :

- الاستفادة في مجال الربط الآلي من التطبيقات الآلية التي تم إنجازها في كثير من مكتبات الجامعات في الدول الأعضاء .
- تبادل الخبرات الفنية والإدارية ومساعدة الجامعات التي لم تبدأ بعد في الأتمتة للبدء في تطبيقها .
- الاستفادة من شبكة الخليج GULF NET في مجال الربط الآلي بهدف الإسهام في بناء قاعدة معلومات ببليوجرافية خليجية يستفاد منها في التعاون في مجالات التزويد والفهرسة والخدمات .
- قيام مكتب التربية العربي لدول الخليج بتشكيل لجنة لدراسة الخطوات العملية لتحقيق الربط الآلي .
- متابعة الجهود المبذولة لاستكمال تعريف مواصفات مارك MARC العربي (الأبراهيم : ١٩٩٤، ٢٧) .

وهناك جانب آخر يجب أن لا نغفله في هذا الصدد وهو تعليم المستفيدين USERS' EDUCATION الذي يعد من القضايا الجوهرية التي تساعد المكتبة على جلب أكبر عدد ممكن من الباحثين . ويقصد بتعليم المستفيدين تقديم برامج تعليمية وتدريبية لمنسوبي الجامعات بهدف تنمية

قدراتهم في استخدام مصادر المعلومات وتجهيزاتها وتحسين خدمات المكتبات ونظم استرجاع المعلومات، وذلك لخدمة أكبر عدد ممكن من جمهور المستفيدين (بدر والقطان : ١٩٩٤ ، ٦٢) . ولقد كان لدراسات المستفيدين الفضل الأكبر في الكشف عن احتياجات أعضاء هيئة التدريس والطلبة والباحثين وسلوكياتهم في البحث عن مصادر المعلومات، الأمر الذي يساعد المكتبيين على فهم أعمق لتلك الاحتياجات وعلى تخطيط البرامج المناسبة لتعليم استخدام المكتبة . فالمنتمين للجامعات لا يشكلون مجتمعًا واحدًا متجانسًا في بحثهم عن المعلومات بل يشكلون عدة مجتمعات متفاوتة في عملية البحث . ويعود إلى عوامل عديدة من بينها تفاوت أوضاعهم الوظيفية وتخصصاتهم الموضوعية وتفاوت مدارس التفكير التي ينتمون إليها . وقد ثبت أن الغالبية يجهلون الأدوات والمصادر (المتوافرة في المكتبات) التي تعينهم على حل مشكلاتهم كما تنقصهم الخبرة والممارسة في استخدام ما هو متاح من تجهيزات وطرق استرجاع المعلومات بالطرق المحسبة . ومع الزيادة الملحوظة في استخدام التقنية في المكتبات الجامعية بما في ذلك الاتصال على الخط المباشر واستخدام القواعد الليزرة فإن هذا يفرض تطوير مهارات استخدام التقنية كعنصر أساسي في تعليم المستفيدين (بدر والقطان : ١٩٩٤، ٦٣ – ٦٧) .

ويدعو بو عزة إلى استغلال علوم التسويق من لدن المكتبات الجامعية في تعليم المستفيدين ، ويبلور في هذا الإطار منهجًا – يمكن اتباعه من لدن مكتبات الجامعات – يتلخص في الإسهام في تدريب المستفيدين ومساعدتهم على التعلم الذاتي وتعلم مهارات استخدام المكتبة والتعرف إلى مصادر المعلومات وطرق الإفادة منها للأغراض البحثية ونحو ذلك من العمليات التي تساعد على تحول المكتبة إلى جهاز يؤدي دورًا فاعلاً في العملية البحثية . وينبغي أن لا تتوقف خدمات المكتبات الجامعية عند حد تقديم الخدمات التقليدية كالإعارة بل ينبغي أن تتعدى ذلك إلى تقديم خدمات أكثر تطورًا وتعقيدًا كالإحاطة الجارية التي تستدعي إعداد نشرات خاصة تجعل المستفيدين على علم بالمقتنيات الجديدة للمكتبة والندوات والمؤتمرات التي سيتم عقدها وإعداد ملفات تحتوي على اهتمامات أعضاء هيئة التدريس بالجامعات التي تتبعها المكتبات، وذلك بغرض تغذية الأعضاء بما يستجد في مجالاتهم من تطورات ومساعدتهم على حل ما قد يعترضهم من مشكلات (بوعزة : ١٩٩٤ ، ١٠٥ – ١٠٦) .

وتمثل دراسات المستفيدين واحتياجاتهم جزءًا من التسويق أو دراسة السوق ، حيث يتوقع من المكتبات الجامعية أن تأخذ في الحسبان أن المستفيدين من خدماتها يتفاوتون بحسب اهتماماتهم وبحسب تفاوت موضوعات البحوث التي يقومون بها . فهناك على سبيل المثال فيما يتعلق بأعضاء هيئة التدريس اختلافات ذات دلالة – كما لاحظ بوعزة – بين احتياجات هؤلاء الأعضاء حيث إن اهتماماتهم الرئيسة موجهة نحو إنجاز البحوث اللازمة لنشر الدراسات الأكاديمية أو الاستزادة من المعرفة أو قراءة المواد ذات العلاقة بالمقررات الدراسية . وينعكس اهتمام الأعضاء على استخدام مصادر المعلومات المتاحة بمكتبات الجامعات ، مما يجعلهم يميلون إلى استخدام المجلات العلمية بشكل مكثف للحصول على المعلومات التي تخدم أغراض البحث ومواكبة التطورات الجديدة التي تحدث في مجال التخصص وتلبية احتياجات التدريس والإضافة إلى رصيد المعرفة في مجال الاختصاص (بوعزة : ١٩٩٤، ١٠٧) . كما يتوقع أيضًا من تلك المكتبات عدم الاقتصار على دراسة المستفيدين بل دراسة غير المستفيدين (منسوبي الجامعات الذين لا يستخدمون مكتباتها أصلاً في مشاريعهم البحثية) .

وبعد الانتهاء من دراسة المستفيدين وغير المستفيدين واحتياجاتهم المعلوماتية تبدأ عملية تحديد الأسلوب المناسب للاتصال بهم وترغيبهم في الإقبال على خدمات المكتبات . وأهم أسلوب يمكن أن يحتذى به هنا هو العلاقة العامة، وذلك من خلال وضع خطة مدروسة تعتمد على تحديد الفئة من بين الوسط الأكاديمي واقتناعهم بقيمة المعلومات في البحث العلمي، ومن خلال انتخاب بعض الأعضاء الذين يتسمون بالزعامة لتستخدمهم المكتبات كأداة فاعلة للدعاية لخدماتها في الوسط الجامعي لما لهم

من تأثير على زملائهم . كل ذلك بهدف جلب أكبر عدد ممكن من المستفيدين والحصول على المزيد من الدعم المالي من إدارة الجامعة ، وتحسين صورة المكتبة وسمعتها في الوسط الأكاديمي (بيمزة : ١٩٩٤، ١٠٩ - ١١٢) . وللمنشورات في المكتبات الجامعية أهمية لا تنكر في التعريف بخدماتها والإعلان عنها وإحاطة المستفيدين بالأحداث البارزة من مؤتمرات علمية وبرامج أكاديمية في مجالاتهم وتسويق المطبوعات الجديدة بالإضافة إلى الأخبار المتعلقة بالمكتبة ذاتها وما تحويه من تطورات (بلوش : ١٩٩٤، ٩٣ - ٩٤) . ويذكر هنا أن من معايير جمعية مكتبات الكليات الأمريكية تنص على ضرورة إسهام المكتبة في الإعلام عن خدماتها وتشجيع الأساتذة على الاستفادة من تلك الخدمات إلى أبعد الحدود (السالم : ١٤١٣، ٥ - ٦).

ويشكل العاملون في المكتبات الجامعية عنصرًا مهمًا في تعزيز البحث العلمي ودفعه إلى الأمام . ويناقش عمر هذا القضية موضحًا أهمية تفهم العاملين لطبيعة مهام منسوبي الجامعات مركزًا حديثه على أستاذ الجامعة وطبيعة العمل العلمي الذي يقوم بإعداده . ويرى عمر أن ما تعانيه المكتبات بالفعل هو وجود فجوة بين الأساتذة والمكتبين وعجز كل فئة عن تفهم احتياجات ومشكلات الفئة الأخرى . وهذا يعني أن أعضاء هيئة التدريس بالجامعات قد لا يدركون تمامًا سبل تذليل الصعاب التي تواجهها مكتباتهم في خدمة البحث العلمي ، كما أن المكتبين في المقابل يواجهون صعاب جمة في التعرف إلى احتياجات أعضاء هيئة التدريس في مجال البحث العلمي كي يتسنى لهم تلبية تلك الاحتياجات (عمر : ١٩٦٥) .

ويضاف إلى ما سبق ضعف التعاون بين المكتبيين والباحثين (خاصة الأساتذة) في بناء مجموعات المكتبة وتصميم خدماتها بالشكل الذي يلبي احتياجات البحث العلمي . ذلك أن للبحث طبيعة خاصة تستدعي تكاتف القائمين على مكتبات الجامعات مع أعضاء هيئة التدريس . ولكن الواقع يثبت وجود فجوة بين الفئتين أو عجز كل منهما عن إدراك احتياجات الفئة الأخرى . فأعضاء هيئة التدريس قد لا يدركون تمامًا السبيل إلى علاج المصاعب التي تواجه مكتباتهم حين تقوم على خدمة البحث ، كما أن المكتبيين يجدون صعوبة في التعرف إلى الاحتياجات البحثية الحقيقية لهؤلاء الأعضاء (عمر : ١٩٦٥) .

ويمكن إرجاع المشكلة التي تواجهها مكتبات الجامعات إلى عنصرين أساسيين يتمثلان في : البرامج الجامعية ، والمواد المكتبية . وحيث إن احتياجات الباحث للمعلومات لا حدود لها ؛ فإن هذا يجعل مقتنيات المكتبات مهما كبرت غير كافية ويضع على المكتبات تبعات ومهام جسيمة فيما يتعلق باقتناء عدد لا حدود له من المقتنيات . فالبحث العلمي لا يتوقف عن النمو ، وهذا يفرض على موارد المكتبات الجامعية وخدماتها المتابعة والملاحقة المستمرة لما يصدر في السوق من مواد مما يستدعي بالتالي زيادة الميزانية المخصصة للمكتبة بشكل مطرد .

وبناء على ما سبق فيمكن تلخيص بعض ما ينتظره الباحثون من المكتبات فيما يلي :

- أن تعمل المكتبات الجامعية على تيسير انتفاع الباحثين بالمواد الأجنبية وذلك من خلال الترجمة .
- أن تعمل المكتبات الجامعية على نشر البحوث القيمة من خلال تخصيص بند في ميزانية المكتبة للنشر .
- أن تعمل المكتبات الجامعية على الدخول في مشاريع تعاونية مع المكتبات ومرافق المعلومات الأخرى على المستويين المحلي والخارجي (عمر : ١٩٦٥، ٥ - ١٦) .

ويعزز رأي عمر كل من قروفر وهيل GROVER AND HALE حيث يعتقدان أن المشكلة الحقيقية للعاملين في المكتبات الجامعية تتمثل في جهلهم بطبيعة البحث العلمي وإجراءاته والاستراتيجية التي يسير عليها والتي تختلف عن طبيعة البحث الأدبي أو كتابة المقالة أو التقرير . ولذا فإن غالبية الخدمات التي يقدمها المكتبيون يمكن تصنيفها على أنها خدمات تقليدية لا تدفع بالبحث إلى الأمام لأن المكتبي يقف موقف المحايد أو المتفرج دون أن يقحم نفسه في عالم البحث العلمي الذي يعيشه أستاذ الجامعة . فهذا الإقحام يستدعي من المكتبي أن يتفهم عملية البحث وأن يصمم الخدمات التي تساعد على انسيابه، فالمكتبيون لم يتعلموا بالطريقة نفسها التي تعلم

بها الأساتذة فيما عدا البعض ممن يحملون درجة الدكتوراه وهؤلاء غالبًا يتسلمون مناصب قيادية في المكتبات الجامعية وبالتالي فهم مشغولون جداً مع الإجراءات الروتينية التي تحرمهم من التعامل بشكل مباشر مع أعضاء هيئة التدريس . ولذا فإن دور المكتبي في مساعدة الأساتذة الباحثين يجب أن لا يتوقف عند حد إمدادهم بالمطبوعات ونحو ذلك من الخدمات التقليدية ، بل يجب أن يتعدى ذلك إلى إمداد الأساتذة بالوضع الراهن للمجال THE STATE - OF - THE ART من حيث النظريات السائدة ومدارس التفكير والرواد البارزين والخبراء والمتخصصين في المجالات الأخرى ذات الصلة بمجال البحث وتقديم الباحثين إلى أدبيات الموضوع الوثيقة الصلة باهتماماتهم البحثية، وتعريف الأساتذة الباحثين في تخصصات أخرى مشابهة لتخصصاتهم ونحو ذلك من الجوانب الجوهرية التي ينشدها الباحثون الجادون . وفي المقابل يجب أن يتعاون الباحث (عضو هيئة التدريس) مع المكتبي في اقتراح المصادر الأساسية في تخصصات الجامعة وفي تقديم إرشادات بشأن تنمية المجموعات . كما يجب أن يعمل المكتبيون والأساتذة معًا على شكل فريق عمل لتسهيل عملية البحث وتذليل سبله (GROVE AND HALF : 1988 , 9 - 15) .

ومما له علاقة وثيقة بالقضية السابقة قضية الاتهامات المتبادلة بين المكتبيين وأساتذة الجامعات . فالمكتبيون يتهمون الأساتذة بجهلهم باستخدام المكتبة ، والأساتذة في المقابل يتهمون المكتبيين بجهلهم بالبحث العلمي . ويناقش استوان STOAN هذه المسألة مناقشة مستفيضة موضحًا أن مهارات المكتبة LIBRARY SKILLS تختلف عن مهارات البحث RESEARCH SKILLS وربما كان هذا هو أساس سوء الفهم الحاصل بين المكتبيين والأساتذة . ذلك أن المكتبيين – في نظر الأساتذة – لا يفهمون أصول البحث العلمي وقواعده ويخلطون بينه وبين البحث المكتبي المتمثل في جمع معلومات متفرقة ، ولذا يتم عادة تنظيم المكتبة وخدماتها ومصادرها في ضوء منطق المكتبيين أنفسهم لا في ضوء منطق الأساتذة . وهنا يكمن مصدر الخلاف بين الطائفتين. وتزداد المشكلة تعقيداً إذا وضع في الحسبان أن مفهوم البحث لدى العاملين في المكتبة محصور في جمع المعلومات واستشارة الأدوات المرجعية التقليدية واستخدام استراتيجية البحث للوصول إلى قواعد المعلومات . وعندما يلاحظ المكتبيون فشل الأساتذة في استخدام تلك الاستراتيجية بالطريقة الصحيحة وتعثر سلوكياتهم في المكتبة يتبادر إلى ذهنهم أنهم بحاجة إلى تعليمهم مهارات البحث، وقد يكون من الصعب تعليم الأساتذة في هذه المرحلة لأنهم يعتقدون أنهم ليسوا بحاجة إلى تعلم ما سبق لهم أن تعلموه حينما كانوا طلبة على مقاعد الدراسة . وعلى العموم فإن مفهوم البحث يختلف لدى الفئتين ، فهو يعني لدى الأساتذة البحث الملتزم بأصول المنهج العلمي الذي ينطلق من سؤال أو مشكلة تحتاج للإجابة عنها إلى الرجوع إلى مصادر المعرفة المختلفة (المعامل والمختبرات والاستبانة ودراسة الحالة والاطلاع على الأرشيف والوثائق والمذكرات الداخلية ونحوها) والتي قد تكون المكتبة من بينها وقد لا تكون . ذلك أن الرجوع إلى المكتبة تفرضه طبيعة المشكلة وطبيعة المعلومات المراد جمعها وطبيعة التخصص مما يعني أنه في بعض الأحيان قد يتمكن الباحث من إنجاز مشروعه دون المرور بالمكتبة (STOAN : 1984, 99 - 100) .

وهناك على الطرف الآخر من يرى أنه من الصعوبة بمكان تحديد مفهوم صارم للبحث وصياغة شكليات وقوالب يسير في نهجها ووضع استراتيجية بحث نظامية ، فهو عملية نسبية وشخصية وهو في الوقت نفسه عملية معقدة للغاية تخضع لعوامل واعتبارات عديدة وللظروف المحيطة بالباحث وإمكاناته وطاقاته والحالة النفسية التي يعيشها . فأستاذ الجامعة يختلف عن الباحث العادي ؛ فهو بحكم عمله قد قرأ العديد من الكتب والمقالات في تخصصه وتحدث إلى العديد من الخبراء والمتخصصين في مجاله وحضر أو شارك في ندوات ومؤتمرات وشارك مع زملائه الباحثين وبالتالي فقد طور لديه مكتبة خاصة تضم غالبية ما يحتاجه لإنجاز البحوث مما قد يعفيه من

الاستعانة بمكتبة الجامعة أو غيرها . ثم إن الأستاذ الباحث قد لا يسير في خط الحكم في اختيار الموضوع ومطالعة الأدبيات والبحث في فهرس المكتبة واستشارة الكشافات للحصول على المقالات ونحو ذلك من العمليات التي يسير عليها الباحث المبتدئ . مما يعني أن الأستاذ قد يكون في غنى عن المكتبة والرجوع إليها ، ولعل هذا ما يفسر سر جهل غالبية أعضاء هيئة التدريس بالمكتبة وقلة اعتمادهم عليها لأن غالبية ما تحتويه ليس ذا علاقة وطيدة باهتماماتهم ولا يلبي احتياجاتهم فضلاً عن كون المكتبة تحتوي على معلومات متقادمة عفى عليها الزمن . وقد ثبت أن أساتذة التاريخ - على سبيل المثال - يعتمدون في تجميعهم للمعلومات لغرض البحث على قوائم المراجع والحواشي المدرجة في الكتب والمقالات كمصادر أساسية . فكيف يمكن تفسير فشل المؤرخين الباحثين بعدم الاعتماد على المصادر التي يرى المكتبيون أنها ضرورية للبحث ؟ هل يمكن تفسيره بأنهم لا يعرفون الطريق الصحيح لإجراء البحوث ؟ أو أن هؤلاء الباحثين لا يلتزمون في أسلوب جمعهم للمعلومات بطرق منظمة وعادات راسخة وتقاليد متعارف إليها في المهنة ؟ والخلاصة أن الأساتذة الباحثين قلما يجيدون مهارات البحث المكتبي كما أن المكتبيين قلما يشاركون في إجراء بحوث علمية . وربما كان مرد ذلك إلى ضعف التدريب على البحث العلمي الذي يتلقاه المكتبي في مرحلة الدراسة (STOAN : 1984, 101 - 108) .

ويقترح وايت WHITE حلاً للإشكالية الناجمة عن الفجوة بين المكتبيين والأساتذة الباحثين تعيين مكتبيين متخصصين SPECIAL LIBRARIANS في أقسام خدمات القراء بالمكتبة وبالذات قسم المراجع . فمثل هذا المكتبي المتخصص في الموضوع يمكن أن يقدم تسهيلات للباحثين بحكم معرفته بالموضوع مثل إعداد تقرير بالحالة الراهنة للموضوع المزمع بحثه أو اقتراح مراجع لم يفكر بها الباحث أو إعداد مستخلصات لأدبيات الموضوع . وبالإضافة إلي تعيين مكتبيين متخصصين فيقترح وايت أن يتعامل الأستاذ مع المكتبي على أنه زميل ملم بأدبيات الموضوع ومدارسه ونظرياته ومناهجه ومصطلحاته كما الحال مع أي زميل آخر من زملاء المهنة . فمثل هذا الإجراء قد يغير النظرة إلى المكتبة ووظيفتها من كونها مكان لحفظ مصادر البحث وتنميتها إلى كونها مركز معلومات يعمل على بثها وربطها بالباحثين (WHITE : 1975, 351 - 353) .

ونستطيع أن نستشف من إلقاء نظرة على البحوث التي سبق ذكرها أن أبرز المتغيرات التي عالجتها تلك البحوث تتمثل في أهمية المكتبات الجامعية كمصدر معلوماتي للباحثين ، والوظائف التي تمارسها خاصة تلك الموجهة نحو البحث العلمي ، والمشكلات والصعوبات التي تواجه المكتبات في تأديتها لرسالتها البحثية والحلول المقترحة في هذا الصدد ، واستخدام التقنية والربط الشبكي في مكتبات الجامعات لدعم البحث العلمي ، والتعاون والتنسيق بين المكتبات في اقتناء المصادر لرفع مستوى البحث والباحثين في الجامعات ، وتعليم المستفيدين من منسوبي الجامعات على استخدام مصادر المكتبات وتجهيزاتها ، واستغلال علوم التسويق والعلاقات العامة لتعزيز استراتيجية هذا التعليم ، ووجود فجوة بين العاملين في المكتبات الجامعية والباحثين نتيجة لعجز كل فئة عن فهم طبيعة عمل الفئة الأخرى وبالذات جهل غالبية المكتبيين بطبيعة البحث العلمي والأساليب التي يسير عليها.

ورغم ما أسهمت به البحوث المعتمدة على منهج البحث الوثائقي من الإضافة إلى الرصيد المعرفي في المجال ومن الإجابة عن كثير من التساؤلات التي لا تزال عالقة في أذهاننا ، فهي على الطرف الآخر تظل إسهامات محدودة ومتأثرة بخبرات أصحابها وبالبيئات التي عايشوها أو احتكوا بها ويصيبها ما يصيب أمثالها من البحوث الوثائقية من الاعتماد على الانطباعية والملاحظة الشخصية . الأمر الذي قد يدعونا إلى إثارة بعض الأسئلة حول مصداقية ما توصلت إليه تلك البحوث من معطيات وما طرحته من توصيات . ومن هنا تتضح القيمة الحقيقية للدراسات الميدانية التي تتمخض معطياتها من واقع المشكلة المدروسة وتعطي صورة صادقة لوضعيتها، حيث يقف الباحث موقف المحايد من القضية قيد الدراسة دون

أن يقحم نفسه فيها بالشكل الذي يؤثر على نتائجها أو يتحيز لحقائق معينة لم تثبتها الدراسة المنهجية .

الدراسات الميدانية في المجال :

لقد استطاع الباحث الحصول على بعض الدراسات العلمية ذات الصلة الوثيقة بموضوع الدراسة الحالية ، وعلى الرغم من قلت تلك الدراسات فهي تعطينا صورة معتمدة على المسوحات الميدانية لأهم الأبعاد التي حازت على اهتمام الباحثين في المجال، وهي :

- اتجاهات أعضاء هيئة التدريس والطلبة نحو المكتبات الجامعية .
- التعرف إلى نقاط القوة والضعف في مصادر المكتبات الجامعية وخدماتها .
- بعض الصعوبات التي تواجه منسوبي الجامعات في استخدامهم للمكتبات الجامعية .
- عدم وضوح الصورة لدى البعض فيما يتعلق بكيفية استخدام مكتبات الجامعات والكليات التي ينتمون إليها.
- الإفادة من المكتبات الجامعية لأغراض عديدة من بينها تلبية الاحتياجات البحثية .

ففيما يتعلق باتجاهات المستفيدين نحو المكتبات الجامعية فهناك بعض الدراسات التي أجريت في بعض البيئات العربية بغرض التعرف إلى اتجاهات الطلبة والأساتذة نحو استخدام المكتبات الجامعية ومن بينها دراسة كعوش KAWASH التي تهدف إلى التعرف على المعلومات التي يستخدمها الوسط الأكاديمي في الكليات العلمية بجامعة الأردن لإنجاز مشاريعهم البحثية ، مع التركيز على تقويم أعضاء هيئة التدريس بتلك الكليات للخدمات المكتبية ومدى إسهامها في تقديم خدمات حديثة ومتطورة وفي تقديم برامج حول تعليم المكتبة والتدريب على استخدامها . وتتكون عينة الدراسة من ٥٥ عضواً من أعضاء هيئة التدريس . وقد تم الاعتماد على الاستبانة بشكل أساسي لجمع المعلومات المطلوبة، حيث تم توزيع استبانات بعدد الأعضاء المشار إليهم . وتوصلت الباحثة في النهاية إلى مجموعة من النتائج لعل من أبرزها تلك التي تتعلق بالصعوبات التي تواجه الأعضاء في استخدام مكتبة الجامعة الأردنية، وهي :

- يواجه ٤٥,٣٪ من عينة الدراسة صعوبات في استخدام فهرس المكتبة . وهي تعد نسبة عالية بالنظر إلى مجتمع الدراسة المتمثل في أساتذة الجامعة الذين يتوقع منهم الدراية بأساليب البحث في الفهارس والإلمام بكيفية استرجاع المعلومات المتوافرة في المكتبة .
- أشار غالبية أعضاء هيئة التدريس إلى عدم رضاهم التام عن خدمات المستفيدين التي تقدمها مكتبة الجامعة وبالذات خدمات التصوير نظراً لقلة عدد الآلات المتوافرة وقلة عدد العاملين في قسم التصوير بالمكتبة الإضافة إلى ارتفاع تكاليف التصوير .
- قلة وعي الأعضاء ببعض الخدمات التي تقدمها مكتبة الجامعة الأردنية .

وكان من بين توصيات الدراسة ضرورة وضع خطة إعلامية مكثفة لنشر الوعي بخدمات المكتبة وإحاطة أعضاء هيئة التدريس بما يجد فيها من مصادر وتجهيزات (KAWASH : 1982) .

وفي عام ١٩٨٩ أجرى الهمشري دراسة تهدف إلى استطلاع آراء الطلبة وأعضاء هيئة التدريس نحو مكتبة الجامعة الأردنية كمصدر معلوماتي للبحث العلمي من حيث المبنى والمجموعات والتنظيم والخدمات والتسهيلات المكتبية. وكانت الاستبانة هي الأداة الرئيسة التي تم من خلالها جمع المعلومات المتعلقة بأهداف الدراسة . وتكونت عينة الدراسة من ٦٧٣ طالباً وطالبة ممن يترددون على المكتبة بالإضافة إلى ٣٢٧ من أعضاء هيئة التدريس . وتوصلت الدراسة إلى نتائج من بينها :

- عدم رضا الطلبة وأعضاء هيئة التدريس عن الخدمات الإعلامية المتعلقة بنشاطات المكتبة وخدماتها .
- عدم رضا الطلبة عن درجة توافر الكتب الأساسية في مجال التخصص .
- عدم رضا أعضاء هيئة التدريس عن مجموعات المكتبة (من الكتب والمراجع والمجلات العلمية) حيث إنها لا تلبي أغراضهم البحثية .

– أظهر أعضاء هيئة التدريس عدم رضاهم بشكل خاص عن مجموعات الدوريات، حيث إنها ضعيفة ولا تتوافر لها أدوات ببليوجرافية من كشافات ومستخلصات ونحوها مما يساعد على استرجاع ما تحتويه الدوريات من معلومات (الهشري : ١٩٨٩) .

وأجرى عليان ELAYYAN دراسة تهدف إلى التعرف على العوائق والصعوبات التي تواجه التربويين من أعضاء هيئة التدريس والطلبة بكلية التربية في الجامعة الأردنية في استخدام مكتبة تلك الجامعة كدعامة للبحث العلمي . وتتكون عينة الدراسة من ٢٣٧ شخصًا من بينهم ٢٢٤ طالبًا و١٣ من أعضاء الهيئة التدريسية . واعتمدت الدراسة على الاستبانة لجمع المعلومات المتعلقة بصعوبات استخدام المكتبة الجامعية . وتوصلت الدراسة إلى أن من أهم الصعوبات التي تواجه الأساتذة والطلبة في استخدام مكتبة الجامعة ما يلي :

– عدم توافر مصادر المعلومات بشكل كافٍ .
– صعوبة الحصول على المصادر بيسر وسهولة نظرًا لنقص أدوات الاسترجاع الببليوجرافية .
– صعوبة استخدام المواد المكتبية باللغات الأجنبية .
– النقص في خدمات المعلومات المتطورة .
– وجود نظام الحجز للمواد المكتبية .
– غياب برامج تعليم استخدام المكتبة (ELAYYAN : 1980) .

كما أجرى بوعزة وقدورة دراسة مسحية تهدف إلى التعرف على سلوك أساتذة الجامعة التونسيين الباحثين تجاه المعلومات ودرجة إسهام المكتبات الجامعية في تلبية الحاجات المعلوماتية لهذا الصنف من المستفيدين . وكان من بين التساؤلات التي طرحتها الدراسة سؤال يعالج إمكانية استخدام المكتبات الجامعية لتقنيات التسويق بغرض تلبية الاحتياجات المعلوماتية لأعضاء هيئة التدريس. وتم إجراء مسح شمل ثمانين مدرسًا باحثًا يعملون بكل من كلية الطب وقسمي الفيزياء والكيمياء بكلية العلوم بتونس . وتم توزيع استبانة على المشاركين في الدراسة لمدة أربعة أشهر . وأجاب عن الاستبانة ٤٧ باحثًا بنسبة ٥٨,٥٧٪ ، ومن ثم قام الباحثان بتحليل البيانات الواردة من خلال تطبيق أسلوب الإحصاء الوصفي . وتمخض عن الدراسة النتائج التالية :

– تعترض المستفيدين صعوبات عند البحث عن المعلومات المطلوبة في المكتبة، وتتمثل في نقص المجموعات المكتبية، وسوء تنظيم الفهارس البطاقية، وغياب قسم المراجع وغيرها. وتعود هذه الصعوبات إلى نقص العاملين المؤهلين وعدم درايتهم بتقنيات تسويق المعلومات وضعف وسائل إيصال المعلومات . وقد ترتب على ذلك أن المكتبات لا تعرف جيدًا احتياجات مستفيديها كما أن المستفيدين لا يعرفون طرق عمل المكتبات في غياب قوائم المقتنيات الجديدة وأدلة استخدام المكتبة ودورات تدريب المستفيدين وغيرها .

– يرى الباحثون أن على المكتبي الاهتمام بجمع المعلومات ومعالجتها والرد على الاستفسارات، حيث لا يتوافر لدى الباحثين وقت كافٍ للبحث عن المعلومات . وهذا يفرض على المكتبي التحلي بعدة صفات من بينها التخصص في مجال المكتبات والمعلومات والخبرة وحب الاطلاع والمساعدة .

وتورد الدراسة في النهاية مجموعة من التوصيات التي تساعد على تحسين خدمات المكتبات الجامعية التي شملتها الدراسة، ومن بينها :

– استخدام تقنيات تسويق المعلومات في المكتبات الجامعية (معلقات وقائمة محتويات المجلات والبث الانتقائي للمعلومات وقوائم المقتنيات الجديدة ودليل المكتبة والاهتمام بالعلاقات العامة وتطوير خدمة الإعارة الخارجية) .
– تدريب المستفيدين على استخدام المكتبة واختيار الطرق الملائمة للبحث عن المعلومات .
– إعلام المستفيدين بمختلف الندوات واللقاءات العلمية التي تعقد في الداخل والخارج .
– تطوير تقنية المعلومات في المكتبة الجامعية وربط المكتبة بالقواعد والشبكات وتعزيز التعاون بين المكتبات الجامعية على مستوى الدولة .
– القيام بانتظام بدراسات تعالج احتياجات الباحثين وتحسين الخدمات بناء على نتائج الدراسات (بوعزة وقدورة : ١٤١٤) .

وبينما تركز الدراسة السابقة على الأساتذة الباحثين في المجالات العلمية والتقنية فقد أجرى قدورة دراسة أخرى (متممة لمشروع الدراسة السابقة) تركز على الأساتذة في مجالات العلوم الاجتماعية من حيث استخدامهم للمكتبات الجامعية في إنجاز مشاريعهم البحثية . واستخدم الباحث أسلوب الاستقصاء الميداني لخمسين باحثًا في كلية الحقوق والعلوم السياسية وكلية العلوم الاقتصادية والتصرف بتونس، حيث وزعت عليهم استبانات خلال الفترة ما بين ١٥ أبريل إلى ١٥ يوليو ١٩٩٢ وأجاب عن الاستبانات ستة وعشرون باحثًا (بنسبة ٥٢٪) وتم تحليل البيانات المجمعة باستخدام أسلوب الإحصاء الوصفي . ومن بين النتائج التي توصلت إليها الدراسة مما له علاقة باستخدام المكتبات الجامعية أن كل أفراد مجتمع الدراسة يرتادون مكتبة كلية الحقوق بصفة منتظمة ، الأمر الذي يوحي بالمكانة التي تحتلها المكتبة في حياة الأساتذة الباحثين . وفيما يتعلق بالخدمات التي يستعين بها من شملتهم الدراسة بغرض تعزيز بحوثهم العلمية فقد تبين أنها تدور حول بعض الخدمات التقليدية بكثرة مثل الإعارة الخارجية (بنسبة ١٠٠٪) ، والمطالعة على عين المكان (بنسبة ٨٨,٢٣٪) ، والاستنساخ (٦٤,٧٠٪) والاطلاع على المواد المكتبية على الرفوف . بينما هناك ضعف في الإقبال على الخدمات المرجعية (بنسبة ١٧,٦٤٪) ، والإعارة بين المكتبات (بنسبة ١١,٧٦٪) . أما فيما يتعلق بتقويم المجموعات فيرى المشاركون في الدراسة أن مجموعات المكتبة كافية لتلبية جميع أو أغلب احتياجاتهم المعلوماتية ، إلا أن نسبة ٦٢٪ من المشاركين مطلعين على آخر مقتنيات المكتبة . وتستعين نسبة ٥٢,٩٤٪ من الباحثين بالمكتبيين أحيانًا عندما تواجههم صعوبات أثناء البحث عن المعلومات ، بينما نسبة ٤٧,٠٥٪ لا تستعين بالمكتبيين . وتتمثل أهم الصعوبات التي تعترض الباحثين في عملية البحث عن المعلومات المطلوبة في مكتبة الكلية في نقص الأماكن في قاعة المطالعة ، وصعوبة استخدام الفهرس البطاقي ، وسوء تنظيم قسم المراجع (١١,٧٦٪) . ومن أجل التغلب على الصعوبات السابقة يقترح قدورة الإسراع في توفير الحاسب الآلي في مختلف أقسام المكتبة تحت الدراسة ودعمها بالقوى العاملة المؤهلة والتقيد بالمعايير الدولية في الخدمات (قدورة : ١٩٩٤ ، ٢٨٥ – ٢٩٦) .

وفي دراسته التي تهدف إلى التعرف على اتجاهات أعضاء هيئة التدريس بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة نحو مكتبة الكلية يعالج عباس مجموعة من الأسئلة من بينها – مما له صلة وثيقة بموضوع المكتبات الجامعية ودورها في البحث العلمي – السؤالين التاليين :

- ما مدى استخدام عضو هيئة التدريس لمكتبة الكلية والإفادة منها في البحث العلمي ؟
- ما مدى تلبية الخدمات التي تقدمها مكتبة الكلية لاحتياجات أعضاء هيئة التدريس البحثية ؟

وكان من بين الفروض التي طرحها الباحث ما يلي :

- قصور خدمات مكتبة الكلية لم يساعد على الإفادة منها في العملية البحثية .
- عدم وفاء خدمات مكتبة الكلية باحتياجات أعضاء هيئة التدريس البحثية أدى إلى الاعتماد على قنوات أخرى في الحصول على المعلومات المطلوبة .

وللإجابة عن تساؤلات الدراسة وتأييد فروضها أو رفضها فقد عمد الباحث إلى استخدام المنهج المسحي (الوصفي) واستخدم أساليب متعددة لجمع البيانات المطلوبة من بينها الاستبانة والمقابلات الشخصية والزيارات الميدانية . وتم إرسال الاستبانات إلى أعضاء هيئة التدريس بكلية الآداب ومجموعهم ١٣٦ عضوًا ، أعيد منها بعد تعبئتها ١١١ استبانة (بنسبة ٨١,٨٢٪) ، ثم تم تحليلها باستخدام التوزيع التكراري والنسب المئوية . وتمخضت عن الدراسة في النهاية مجموعة نتائج من أهمها:

- ذكرت نسبة عالية (٩٢٪) من أعضاء هيئة التدريس أنه لا يوجد علاقة أو تعاون مع أمين المكتبة، وذلك لأسباب عديدة من بينها عدم قيام أمين المكتبة بالتعريف بها ، وقصور الخدمات وقلة المصادر المتنوعة التي تقدمها مكتبة الكلية . كما ذكرت النسبة المشار إليها أنها

تفضل استخدام المكتبة المركزية لأنها تفوق مكتبات الكليات في مقتنياتها .

- لا توجد طريقة موحدة لاختيار المواد يتبعها جميع أعضاء هيئة التدريس بالكلية . فقد أفاد ٤٧,٩٪ من الأعضاء أنهم يقومون بعملية اختيار المجموعات بالتعاون مع رئيس القسم ، بينما أفاد ١٠٪ أن المكتبة هي المسئولة عن العملية ، وأفاد ٢٧,١٪ باشتراك أمين المكتبة وعضو هيئة التدريس بعملية الاختيار ، وأفاد ١٥٪ بوجود لجنة في القسم خاصة باختيار المواد للمكتبة .
- ذكرت نسبة ٧٩,٩٪ من أعضاء هيئة التدريس أن المكتبة لا تقوم بإشعارهم بما أضيف من مواد جديدة في تخصصاتهم ، ونسبة ١٢,١٪ قصدوا نشرة الإضافات التي تصدرها المكتبة المركزية .
- لا تأخذ مكتبة الكلية بسياسة تنقية المجموعات مع أنها لا تقل أهمية عن اختيار المجموعات . وتقتضي تلك السياسة استبعاد المواد غير المتداولة وذات النسخ المتكررة والقديمة والتالفة أو المستهلكة أو المطلوب نسخ بديلة لها ونحوها مما قد لا يخدم الاحتياجات البحثية لأساتذة الجامعة .
- أجاب ١٠ أعضاء فقط (بنسبة ٩٪) باستفادتهم من مجموعة المراجع المتوافرة في مكتبة الكلية لأغراض التدريس والبحث العلمي . أما النسبة الكبيرة التي لا تستفيد من تلك المراجع فقد ذكرت أن الأسباب تتلخص في توافر عدد قليل من المراجع غير الحديثة .
- عدم توافر العدد الكافي من المتخصصين العاملين في مكتبة الكلية .
- أجمع أعضاء هيئة التدريس على ضرورة التوسع في الخدمات والنشاطات التي تقدمها المكتبة ودعمها بالموظفين المؤهلين . وركز الأعضاء على أهمية توفير المصادر بمختلف أشكالها وأنواعها .

وخلص عباس في النهاية إلى نتيجة مفادها أن مكتبة الكلية تعيش وضعًا لا تحسد عليه فهي تعاني الشيء الكثير وينقصها الكثير أيضًا، ولذا فلا عجب أن يتقلص دورها في البحث العلمي وتقل النظرة إليها كمركز معلومات للجامعة.

وكان من بين توصيات الدراسة ضرورة توفير مجموعات متوازنة ومتكاملة تلبي احتياجات أعضاء هيئة التدريس ، والتوسع في الخدمات التي تقدمها المكتبة للمستفيدين ، وتأصيل العلاقة بين عضو هيئة التدريس وأمين المكتبة بحيث يفهم كل واحد منهما احتياجات الآخر (عباس : ١٤٠٩) .

كما أجرى عاشور ASHOOR دراسة تهدف إلى التعرف على اتجاهات المستفيدين من أعضاء هيئة التدريس والطلبة نحو المصادر والخدمات ذات العلاقة بالتدريس والبحث العلمي في ثلاث مكتبات جامعية هي جامعة الملك فهد للبترول والمعادن بالظهران ، وجامعة الملك سعود بالرياض ، وجامعة الملك عبدالعزيز بجدة . ولجمع المعلومات المطلوبة فقد اعتمد الباحث على الاستبانة والمقابلة الشخصية للأساتذة والطلبة، وتمخض عن الدراسة في النهاية نتائج من أبرزها :

- أن أعضاء هيئة التدريس والطلبة في الجامعات الثلاث المدروسة غير راضين عن خدمات تلك المكتبات .
- أن أعضاء هيئة التدريس والطلبة يشتكون من عدم إشراكهم في اختيار المجموعات في المكتبات المدروسة .
- أن أعضاء هيئة التدريس والطلبة يواجهون صعوبات في التعامل مع موظفي المكتبات الثلاث، حيث يفتقرون إلى التأهيل في مجال المكتبات (ASHOOR : 1978) .

وهناك بعض الدراسات التي عالجت قضية الجهل بخدمات المكتبات الجامعية ، ومنها ما ركز على جهل الأساتذة باستخدام المكتبات وتأثير ذلك بشكل أو بآخر على ما يقومون به من بحوث وما ينجزونه من دراسات وذلك مثل دراسة نيلسون NELSON التي تهدف إلى الكشف عن مدى إحاطة أساتذة الجامعات بالخدمات التي تقدمها ست مكتبات كليات بالولايات المتحدة الأمريكية مع التركيز على الخدمات المرجعية . وكانت النتيجة التي توصلت إليها الدراسة هي أن الأستاذ يحيط علمًا فقط بنسبة ٥٠٪ من الخدمات المتاحة في مكتبة الكلية التي ينتمي إليها . وقد كانت هذه النتيجة بمثابة مفاجأة للباحثة نيلسون مما دعاها إلى طرح بعض الأسئلة التي تعالج الهدف من وجود المكتبة الجامعية ، ومدى توفيرها للخدمات

التي يحتاجها الأساتذة لإنجاز مشاريعهم العلمية ، وإلى أي مدى تستحق المكتبة المصروفات المالية في ضوء ما تقدمه من خدمات . ومن ثم علقت الباحثة على النتيجة المشار إليها بما مضمونه أنه مما يدعو إلى الأسف أن مكتبات الجامعات التي أنشئت أصلاً لخدمة عضو هيئة التدريس ولتلبية احتياجاته المعلوماتية المتمثلة في التدريس والبحث العلمي لا تؤدي هذا الدور الملقى على عاتقها ، مما يدعو إلى إعادة النظر في رسالة هذا النوع من المكتبات وتقويم فعاليتها وقياس مدى رضا الأساتذة عنها (NELSON : 1973) .

وأيضًا من الدراسات التي ركزت على قضية الجهل بالمكتبات وطريقة استخدمها فيما يتعلق بالطالبات الجامعيات تلك الدراسة التي أجريت في مركز الدراسات الجامعية للبنات في جامعة الملك سعود حول مشكلة الثقافة المكتبية LIBRARY ORIENTATION ودور المكتبة في البحث العلمي الذي تكلف به الطالبات وكيفية الاستفادة من المكتبة في إجراء البحوث العلمية حيث ظهر أن ١٨٪ من أفراد العينة قد فشلن في التوصل إلى المعلومات المفيدة لبحوثهن لكونهن قد اتجهن بالبحث عن الكتب فوق رفوف المكتبة دون الاستعانة بالفهرس أو بأمينة المكتبة أو العاملات فيها . وأشارت نسبة ٥١٪ من الطالبات إلى أن صداقة أمينة المكتبة والموظفات تعد ضرورية للغاية للباحثة لأنها أهم وسيلة للحصول على المعلومات المفيدة . وتجاهل ٧٪ من الطالبات أنه يوجد في المكتبة فهرس بالمؤلف والعنوان والموضوع . وأشارت ٦١٪ من الطالبات إلى أنه يتوافر لديهن فكرة واضحة عن الخدمات التي تقدمها المكتبة للطالبة الجامعية . وقد تضمنت الدراسة سؤالاً حول أهم مصادر المعرفة التي تراوحت ما بين الأستاذات والمكتبة والأرض والكتب المقررة والمجتمع والطالبة نفسها والكائنات الحية ، وطلب إلى الطالبات المشاركات في الدراسة ترتيبها حسب أهميتها للباحثات وكانت النتيجة أن ٩٩٪ من أفراد العينة قد أعطى الأولوية للمكتبة كأول وأهم مصدر من مصادر المعرفة (في: سلطان والعبيدي : ١٤٠٤ ، ١١٩ - ١٢٠) .

ويضاف إلى ما سبق دراسات الإفادة من خدمات المكتبات الجامعية ، وهي تهدف إلى تقصي مدى إفادة الطلبة والأساتذة من الخدمات على إطلاقها مع التركيز على خدمات المستفيدين وبالذات ماله علاقة بتلبية الاحتياجات البحثية . ويدخل في نطاق هذا النوع من الدراسات التعرف إلى نقاط القوة والضعف في مقتنيات المكتبات وتحديد الفئات المستفيدة وغير المستفيدة . ومن أمثلة ذلك دراسة طبقت في مكتبة جامعة شارلستون روبرت سكوت في الولايات المتحدة الأمريكية ، ومن بين النتائج التي أسفرت عنها مما له علاقة بموضوع الدراسة الحالية أنه على الرغم من أن نسبة كبيرة من أعضاء هيئة التدريس يرون أن مقتنيات المكتبة من الكتب والدوريات غير كافية لتلبية احتياجاتهم البحثية ؛ فإن الغالبية يستخدمون تلك المقتنيات لأغراض البحث مرة واحدة على الأقل كل فصل دراسي (في : عبيد : ١٩٩٤، ٢٥٠ - ٢٥١) .

ومن بين الدراسات المحلية التي أجريت على حالة واحدة تلك الدراسة التي أجراها السالم بهدف التعرف إلى اتجاهات أعضاء هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية نحو الدور الذي تقوم به مكتبات الجامعة خاصة المكتبة المركزية في تلبية الاحتياجات البحثية . ولتحقيق الهدف المنشود فقد عمد الباحث إلى دراسة أهم المحاور المتعلقة بالبحث العلمي، ومن بينها دور المكتبة الجامعية في تلبية احتياجات الباحثين وتمخض عن هذا المحور مجموعة من العناصر الفرعية التي تناولتها الدراسة بالمعالجة والتحليل وتم قياسها في استبانة تم تطويرها لهذا الغرض . وقد تم استخدام المنهج المسحي ، مع التركيز على أسلوب دراسة الحالة . وتكون مجتمع الدراسة من جميع أعضاء هيئة التدريس السعوديين المصنفين على درجة أستاذ مساعد فما فوق ، وعددهم ٣٢٢ عضواً ، أجاب منهم ١٨٠ عضواً على استبانة الدراسة . وقد شمل هذا المجتمع منسوبي الجامعة في الفروع فيما عدا المعاهد الخارجية فقد استثنيت نظرًا لبعدها ولصعوبة جمع المعلومات وصعوبة الاتصالات .

وخرجت دراسة السالم في النهاية بمجموعة من

الحقائق التي تضع بين يدي المسئولين بعض التوجيهات التي يمكنهم الاستئناس بها لتحسين واقع مكتبات الجامعة وتطويرها نحو الأفضل، وعلى وجه الخصوص ماله علاقة بالمشكلات والصعاب التي تعوق حركة البحث العلمي مما يحفز بالتالي على البحث عن البدائل والخيارات التي تخفف من وطأة تلك المشكلات، وتعمل على توفير مصادر المعلومات التي تجعل البحث العلمي عملية سهلة وميسرة وتجعل مكتبة الجامعة بحق دعامة ومقوم من مقومات البحث العلمي . ومن بين أبرز تلك الحقائق ما يلي :

- تتفاوت تصورات أعضاء هيئة التدريس بجامعة الإمام المشاركين في الدراسة تجاه المصادر التي يفضلون الاستعانة بها للحصول على المعلومات التي تخدم مشاريعهم البحثية . ففيما يتعلق بمكتبة الجامعة المركزية فإن الأكثرية وعددهم ١١٧ عضواً بنسبة ٦٥٪ لا يفضلون الاستعانة بها ، بينما الأقلية وعددهم ٦٣ عضواً بنسبة ٣٥٪ يفضلون ذلك .
- غالبية المشاركين في الدراسة وعددهم ٩٣ عضواً بنسبة ٥١,٧٠٪ يرون أن مكتبة الجامعة المركزية تلبي احتياجاتهم البحثية إلى حد ضئيل ، يليهم ٤٣ عضواً بنسبة ٢٣,٩٠٪ يرون أنها تلبي احتياجاتهم إلى حد لا بأس به، يليهم ١٨ عضواً بنسبة ١٠٪ لم يبدوا رأيهم إزاء مدى تلبية مكتبة الجامعة لاحتياجاتهم البحثية ، ثم ١٣ عضواً بنسبة ٧,٢٠٪ يرون أن تلك المكتبة لا تفي باحتياجاتهم مطلقًا ، وبعد ذلك ١١ عضواً بنسبة ٦,١٠٪ يرون أن المكتبة تفي باحتياجاتهم البحثية إلى حد كبير .
- تتفاوت نظرة المشاركين لبعض الأسباب التي تقف حائلاً دون تلبية مكتبة الجامعة المركزية لاحتياجاتهم البحثية . ففيما يتعلق بضعف مجموعات المكتبة وتقادمها فإن ٩٨ عضواً بنسبة ٥٤,٥٠٪ لا يرون أن لهذا السبب علاقة بعدم وفاء المكتبة بالاحتياجات البحثية ، بينما ٨٢ عضواً بنسبة ٤٥,٦٠٪ يرون عكس ذلك . أما فيما يتعلق بنقص المجلات العلمية وعدم تكشيفها؛ فإن الغالبية وعددهم ١١٨ عضواً بنسبة ٦٥,٦٠٪ لا يرون أن لهذا السبب علاقة بعدم وفاء المكتبة بالاحتياجات البحثية ، بينما ٦٢ عضواً بنسبة ٣٤,٤٠٪ يرون عكس ذلك . وبالنسبة لعدم توافر الفهرس الآلي الذي يساعد على سرعة الوصول إلى المعلومات المطلوبة فإن الغالبية وعددهم ١٢٩ عضواً بنسبة ٧١,٧٠٪ لا يعتقدون أن لهذا السبب دوراً في عدم تلبية المكتبة لاحتياجاتهم ، بينما ٥١ عضواً بنسبة ٢٨,٣٠٪ فيعتقدون ذلك .
- تتباين وجهات النظر حيال مدى التقويم لمستوى خدمات المكتبة الجامعية . ذلك أن ما يزيد بقليل على نصف أعضاء هيئة التدريس بجامعة الإمام المشاركين في الدراسة وعددهم ٩٣ عضواً بنسبة ٥١,٧٠٪ يرون أن مستوى الخدمات التي تقدمها مكتبة الجامعة يعد ضعيفًا ، يليهم ٤٣ عضواً بنسبة ٢٣,٩٠٪ يرون أنه جيد، ثم ٢٤ عضواً بنسبة ١٣,٣٠٪ لم يبدوا رأيهم حيال الأمر ، وبعد ذلك عشرة أعضاء بنسبة ٥,٦٠٪ يرون أن مستوى الخدمات ضعيف جداً ، وأخيراً ستة أعضاء بنسبة ٣,٣٠٪ يرون أن مستوى الخدمات ممتاز.
- أظهرت الدراسة مدى التباين في اتجاهات أعضاء هيئة التدريس نحو العوامل المؤدية إلى ضعف الخدمات التي تقدمها مكتبة الجامعة ومن بينها قصور الخدمات الإعلامية ، وعدم توافر أدوات استرجاع المعلومات بشكل كاف ، وضعف الخدمات المرجعية ، وعدم توافر خدمات الإحاطة الجارية ، وضعف خدمات الإرشاد والتدريب ، وعدم استخدام التقنية ، وضعف الأنشطة التعاونية .
- اتضح أن هناك اختلافًا في وجهات نظر المشاركين تجاه العناصر التي يرون أنها قد تساعد على تعزيز الدور الملقى على عاتق المكتبة الجامعية . وتتمثل تلك العناصر في وضع خطة إعلامية مكثفة لنشر الوعي بخدمات المكتبة ، وإنشاء وتطوير قاعدة لإحاطة الأعضاء بالمصادر الحديثة ، وإعداد برامج منظمة لتعريف الأساتذة بالمكتبة وإطلاعهم على مصادرها ، وتعزيز الاتصال بشبكات المعلومات المحلية والعالمية ، والتعاون والتنسيق في مجال تنمية المجموعات مع الجهات ذات الاهتمام المشترك (السالم : ١٤١٦) .

وتوحي نظرة إلى ما سبقت الإشارة إليه من دراسات إلى أن أبرز ما تناولته من متغيرات تتمثل في تقويم الأساتذة والطلبة لواقع مكتبات الجامعات التي ينتمون إليها، ومدى الرضا عما تقدمه من خدمات ، والصعوبات التي تواجه الباحثين في استخدامهم للمكتبات ، ومدى إسهام المكتبات في تلبية الاحتياجات البحثية ، وجهل البعض بما يتوافر في المكتبات من خدمات ، ومواقف الطلبة والأساتذة من أهمية الدور الملقى على مكتبات الجامعات كمصدر معلوماتي لإنجاز مشاريع البحوث العلمية .

وعلى الرغم مما بين تلك الدراسات الميدانية من تفاوت في أهدافها وأسئلتها ومناهجها ومجتمعاتها وعيناتها وأدواتها المستخدمة في تجميع البيانات وأساليبها الإحصائية في تحليل البيانات التي تم تجميعها ونحو ذلك من عناصر التفاوت الأخرى التي تؤثر بشكل أو بآخر على تعميم ما تم التوصل إليه من نتائج وتجعل من الصعوبة بمكان مقارنة نتائج كل دراسة على حدة بنتائج ما سبقها من دراسات في الموضوع نفسه . على الرغم من هذا كله فلا يمكن أن ننكر أن مثل هذه الدراسات قد أضافت لبنة إلى صرح المبادئ أو الأسس التي تحدد مسار الممارسات في عالم الواقع ، وتكشف النقاب عن أهم الدوافع وراء ضعف الدورالذي تمارسه المكتبات الجامعية في دفع حركة البحث العلمي إلى الأمام ، وتفسر بعض الظواهر الغريبة مثل ظاهرة عزوف بعض منسوبي الجامعات خاصة أعضاء هيئة التدريس عن استخدام مكتبات الجامعات التي ينتمون إليها في حالة عزمهم على القيام بمشاريع علمية .

وعلى العموم ؛ فإن الصورة الإجمالية للأدبيات السابقة النظرية منها والميدانية توحي بأن مكتبات الجامعات لا تؤدي الدور المنشود في البحث العلمي في المحيط الجامعي نظرًا لوجود بعض الصعوبات التي تقف عائقًا أمام استخدام المنتمين للوسط الأكاديمي لتلك المكتبات ، مما يؤثر سلبًا على ما يقومون به من بحوث وما يجرونه من دراسات . ومع اختلاف وجهات النظر حول هذه القضية فهناك اتفاق على حقيقة واحدة وهي أن اتجاهات منسوبي الجامعات من طلبة وأساتذة وباحثين نحو مكتبات الجامعات تعد سلبية أكثر منها إيجابية لعوامل عديدة من بينها نقص مصادر المعلومات التي تساعد على إجراء البحوث العلمية ، وصعوبة استرجاع ما يتوافر في المكتبات من مواد نظرًا لضعف الأدوات الببليوجرافية ، وضعف تعاون العاملين في المكتبات ، واقتصار الخدمات غالبًا على التقليدية منها وعدم تجاوزها إلى خدمات حديثة ومتطورة، وضعف الخدمات المرجعية والتعاونية وخدمات الإرشاد والتدريب ، ونحو ذلك من العوامل التي تسهم بشكل أو بآخر في قهقرة الدور الملقى على المكتبات الجامعية في دعم حركة البحث العلمي لدى المنتمين للوسط الأكاديمي .

الخاتمة :

لقد كانت هذه الدراسة بمثابة محاولة لاستقراء الإنتاج الفكري المتعلق بالمكتبات الجامعية ودورها في البحث العلمي . وكانت الفلسفة التي بنيت عليها فكرة الدراسة هي أن المكتبات الجامعية تعد دعامة أساسية للبحث العلمي وركيزة مهمة في تحقيق أهداف الجامعة ورسالتها وعنصرًا رئيسًا في تقويم الجامعة نفسها . ولكي تؤدي المكتبة الدور المناط بها فيجب أن لا تكتفي بتأدية الوظائف التقليدية من اختيار وتزويد وفهرسة وتصنيف ونحوها مما لا ينعكس على الباحث بشكل مباشر ، بل ينبغي أن تتعدى ذلك إلى الخدمات التي تلبي احتياجات الباحثين وتساعد على كسب رضاهم . وحيث إن المكتبات وجدت أصلاً لخدمة منسوبي الجامعات ولمساعدتهم على إنجاز مشاريعهم البحثية لذا كان من الطبيعي التعرف إلى مدى ما تؤديه من دور في المجال البحثي من خلال عرض ومناقشة ما هو متوافر من أدب في الموضوع قيد الدراسة.

وإذا كان البحث العلمي يتطلب خدمات معلومات جيدة ومتطورة، فإن المكتبة هي المكان المعد لحفظ المعلومات وتجهيزها وتيسير استخدامها، وهنا تكمن مهمة المكتبة التي ينظر إليها على أنها مركز معلومات لتغذية الباحثين بمتطلباتهم المعلوماتية . ومن هذا المنطلق فقد عالجت الدراسة الحالية دور المكتبات الجامعية في البحث العلمي من خلال عرض الأدبيات النظرية والميدانية التي عالجت الموضوع .

وقد خرج الباحث من استقرائه لتلك الأدبيات ومن اطلاعه الفاحص على أبرز المحاور التي عالجتها وأيضًا من ملاحظاته الشخصية بمجموعة من النتائج والتوصيات التي تثري الرصيد المعرفي في المجال وترسم معالم في الطريق للبحوث المستقبلية . ويمكن تلخيص أهم تلك النتائج في النقاط التالية :

- من الملاحظ أن غالبية البحوث والدراسات لا تناقش موضوع المكتبات الجامعية ودورها في البحث العلمي بشكل مستقل بل تناقشه ضمن عالم المكتبات الجامعية أو ضمن مجال البحث العلمي أو ضمن موضوع احتياجات المستفيدين أو استخدام مصادر المعلومات .
- ضعف الخدمات المقدمة للمستفيدين من المكتبات الجامعية خاصة الخدمات الإعلامية والببليوجرافية والمرجعية وخدمات الإحاطة الجارية .
- على الرغم من التطور الذي وصلت إليه المكتبات الجامعية في العالم المتقدم في رفع مستوى البحث العلمي عن طريق الاستغلال الأمثل للتقنية في مجالات النشر الإلكتروني وغيره من المجالات - التي أحدثت تغيرًا كبيرًا في مفهوم المكتبة التقليدية وجعلت التوجه نحو المكتبة الإلكترونية التي تمكن منسوبي الجامعات من الوصول إلى المعلومات عبر الطرفيات دونما ضرورة الحضور الشخصي لمقر المكتبة - فإن غالبية المكتبات في العالم النامي مازالت تعاني من ضعف الإفادة من تقنية المعلومات ومن الربط الشبكي بين المكتبات الجامعية على المستوى الوطني والإقليمي .
- تتأثر اتجاهات الطلبة نحو المكتبات الجامعية باتجاهات الأساتذة أنفسهم نحو تلك المكتبات . ذلك أن قناعات الأساتذة بالمكتبة وأهميتها كمصدر للمعلومات تؤثر بشكل أو بآخر على قناعات الطلبة ونظرتهم لتلك المكتبات كدعامة للبحث العلمي ، مما يوحي بأن الأستاذ هو سيد الموقف في تلك الحالة، حيث بإمكانه تغيير أسلوب التعليم من المحاضرة النظرية إلى تكليف الطلبة بمشاريع تستدعي الاعتماد على المكتبة والتردد عليها باستمرار .
- ومما له صلة وثيقة بالقضية السابقة ما كشفت عنه النتائج من أن غالبية طلبة المرحلة الجامعية يستخدمون مكتبة الجامعة للقراءات غير الجادة (قراءة الجرائد اليومية والمجلات غير العلمية والكتب الترفيهية) التي لا علاقة لها بإعداد البحوث العلمية الرصينة . مما يفقد المكتبة أهميتها كدعامة أساسية للتعليم الجامعي والبحث العلمي . وربما يستثنى من ذلك طلبة المستوى الرابع حيث إن استخدامهم يفوق بعض الشيء استخدام بقية المستويات وأيضًا طلبة الدراسات العليا . وتوحي هذه النتيجة مرة أخرى بضرورة تطوير أساليب التعليم بحيث تركز على إجراء البحوث التي تحفز الطلبة على استخدام المكتبة وتجعلهم أكثر فاعلية في التعليم الجامعي .
- عدم الدقة في وضع تعريفات نظرية وإجرائية للمصطلحات المستخدمة في بعض البحوث والدراسات السابقة مما يؤثر على مصداقية ما توصلت إليه من نتائج ويجعل المقارنة بينها عملية صعبة . إضافة إلى أن اختلاف البيئات التي أجريت فيها الدراسات المسحية في المجال تعد من بين المآخذ على هذا النوع من الدراسات . ورغم القصور في التعريفات المنهجية والإجراءات فإن تلك الدراسات قد أضافت أبعادًا جديدة إلى المجال وفتحت قنوات عديدة للبحوث والدراسات المستقبلية .
- وتبين أن الاهتمامات البحثية لمنسوبي الجامعات غير متجانسة الأمر الذي يفرض تباينًا في المصادر التي تبلي تلك الاهتمامات وبالتالي تطويع سياسة تنمية المجموعات بما يرضي الاهتمامات كافة . ويمكن أن يتحقق ذلك من خلال التوازن في بناء تلك المجموعات بحيث لا يطغى جانب منها على حساب الجوانب الأخرى.
- ضعف التعاون والتنسيق بين مكتبات الجامعات في مجالات التزويد التعاوني والفهرسة التعاونية والخدمات المرجعية التعاونية ، بالإضافة إلى ضعف التعاون بين المكتبيين وأساتذة الجامعات في رفع مستوى البحث العلمي وتسهيل تدفقه وانسيابه نتيجة لسوء الفهم الحاصل لطبيعة العمل الملقى على عاتق كل فئة من هاتين الفئتين ونتيجة لاختلاف مفهوم البحث المكتبي عن مفهوم البحث العلمي .

وفي ضوء ما توصلت إليه الدراسة من نتائج فإن الباحث يوصي بما يلي :

١ - تعزيز الخدمات الإعلامية للمكتبات الجامعية مثل برامج العلاقات العامة والدعوة المكتبية التي تهدف إلى تسويق خدمات المكتبات والدعاية لها والإعلان عنها بغرض كسب أكبر عدد ممكن من جمهور المستفيدين ونحو ذلك من الخدمات التي تساعد الأساتذة والطلبة على القيام ببحوثهم وإجراء دراساتهم ، وذلك من خلال إصدار دليل المكتبة وتوزيع النشرات التي تعرف بالمكتبات وما يتوافر بها من خدمات وتجهيزات ومصادر ، وأيضًا من خلال تكثيف عدد العاملين في المكتبات وتفريغ بعضهم لإرشاد القراء وعدم إشغالهم بالأعمال اليومية والإجراءات الفنية الروتينية التي قد تحرمهم من الاهتمام بالمستفيدين والتعرف إلى مشكلاتهم وتلبية احتياجاتهم .

٢ - العمل على توفير الأدوات الببليوجرافية أو أدوات استرجاع المعلومات حيث تشير بعض الأدبيات - كما مر بنا - إلى أن هناك مشكلة نقص الخدمات الببليوجرفية في بعض المكتبات الجامعية . وتشمل تلك الأدوات الكشافات والمستخلصات والقوائم والأدلة والفهارس ونحوها . ويمثل الفهرس الموحد لمقتنيات مكتبات الجامعات أداة ببليوجرافية لا يستغني عنها الطلبة والأساتذة للتعرف إلى ما بحوزة مكتبات الجامعات التي ينتمون إليها (المكتبات المركزية ومكتبات الكليات ومكتبات الفروع) من مواد لها صلة باهتماماتهم البحثية . ويقترح الباحث حوسبة الفهارس البطاقية وتوفير وحدات طرفية مخصصة لاستخدام الباحثين مما يساعد على استرجاع المعلومات في وقت قصير .

٣ - تعزيز الخدمات المرجعية بما في ذلك الرد على استفسارات المستفيدين وتزويدهم بالمعلومات المطلوبة وتقديم حقائق مبسطة، وبحث الإنتاج الفكري وتقديم قوائم ببليوجرافية بأدبيات الموضوع ونحو ذلك من الخدمات التي تسهل إنجاز المشاريع البحثية . ويمكن تحقيق هذا المقترح عن طريق توفير قاعدة خاصة بالمراجع وموظفين متفرغين للخدمات المرجعية، وتوفير الخدمات المرجعية الميزرة ، ورصد الأسئلة المرجعية وتسجيلها ، وتقديم قوائم ببليوجرافية بالإنتاج الفكري في المجال المطلوب ، وتجهيز أرشيف مرجعي يحتوي على قصاصات الموضوعات التي تهم الباحثين .

٤ - تكثيف خدمات الإحاطة الجارية حيث ثبت من الأدبيات ومن ملاحظات الباحث ضعف اهتمام مكتبات الجامعات بهذا النوع من الخدمات . ويمكن أن يتحقق ذلك من خلال تزويد الأساتذة بالمصادر التي تخدم اهتماماتهم البحثية بصفة مستمرة ، وتكوين ملف لكل باحث من منسوبي الجامعات يشتمل على اهتماماته الموضوعية ، وتوزيع نشرات إخبارية تحيط الباحثين بما تم إضافته إلى رصيد المكتبة من مواد حديثة ، وتداول مقالات الدوريات العلمية بينهم . ذلك أن وظيفة المكتبات يجب أن لا تقتصر على تنمية مجموعاتها بل يجب أن تتعدى ذلك إلى ربط المستفيدين بتلك المجموعات .

٥ - التركيز على خدمات الإرشاد والتدريب، حيث تشير الأدبيات إلى ضعف هذا النوع من الخدمات واعتمادها في غالب الأحيان على الخبرات الشخصية للعاملين أكثر من اعتمادها على المصادر العلمية . ويتمثل الضعف في جوانب عديدة من بينها عدم توافر مكتب خاص بالخدمات الإرشادية للباحثين ، وعدم وجود موظفين "مرشدي قراء" متفرغين لتلك الخدمات، وعدم وجود مركز إحالة وإرشاد للمصادر الخارجية التي لا تتوافر في مكتبات الجامعات ، وعدم وجود برامج منظمة لتعريف منسوبي الجامعات بمصادر المكتبات وتدريبهم على استخدامها .

٦ - تعزيز الخدمات والنشاطات التعاونية التي تدعم حركة البحث العلمي، وذلك مثل خدمات التزويد التعاوني والاتصال المباشر بقواعد المعلومات المحلية والخارجية والخدمات المرجعية التعاونية والإعارة بين المكتبات

وخدمات توفير وإيصال الوثائق والاشتراك في الشبكات الببليوجرافية .

٧ - الاستغلال الأمثل لتقنية المعلومات خاصة تقنية الحاسوب في تقديم الخدمات لمنسوبي الجامعات من منازلهم أو من أماكن عملهم دونما مطالبتهم بالحضور الشخصي لمقر المكتبة كما الوضع عليه حالياً في غالبية مكتبات الجامعات خاصة في الدول النامية . وأيضاً ربط مكتبات الكليات ومكتبات الفروع بالمكتبات المركزية في شبكة واحدة من خلال نظام الربط الشبكي الذي يتيح المعلومات بين يدي طالبيها حيثما كانوا . وللربط الشبكي فوائد كثيرة من بينها إمكان استخدام مصادر المعلومات عن بعد وهي ميزة خاصة لأولئك الذين يسكنون بعيداً عن مقر الحرم الجامعي فضلاً عن كونها تتيح الاستخدام طوال الوقت حتى عندما تقفل المكتبات أبوابها أثناء الإجازات .

٨ - توطيد العلاقات بين العاملين في المكتبات الجامعية ومنسوبي الجامعات خاصة أعضاء هيئة التدريس الذين ينتظر منهم الإسهام في بناء مجموعات المكتبات ومساعدتها على اقتناء المواد التي تلبي الاحتياجات الحقيقية للبحوث التي يقوم بها الأساتذة.

٩ - العمل على إثراء مكتبات الجامعات بالمواد التي تساعد أعضاء هيئة التدريس والطلبة والباحثين داخل الجامعات وخارجها على معرفة الدراسات ذات الصلة بموضوع دراساتهم، وتيسير الرجوع إلى تلك المواد واستخدامها من خلال وضعها على رفوف مفتوحة ، وتوفير أدوات الاسترجاع من كشافات وفهارس وقوائم ببليوجرافية ونحوها ، بالإضافة إلى ربط المكتبات بمراصد المعلومات المحلية والخارجية .

١٠- ضرورة إجراء المزيد من البحوث النظرية والدراسات الميدانية حول دور المكتبات الجامعية في البحث العلمي . وحيث إن الدراسة الحالية قد تناولت الموضوع على إطلاقه فيمكن التركيز في البحوث المستقبلية على بيئة بعينها وفئة بذاتها من مستخدمي مكتبات الجامعات والاستعانة بأسلوب دراسات المستفيدين وأسلوب دراسة الحالة للقيام بمزيد من المسوحات التي تهدف في النهاية إلى التعرف على احتياجات المعلومات لدى منسوبي الجامعات ، وتطبيق نتائج مثل تلك الدراسات في تطوير خدمات المكتبات الجامعية وتحسينها بما يلبي اهتمامات الطلبة والأساتذة والباحثين .

المراجع العربية والإنجليزية

* الأبراهيم ، بهاء عبدالقادر . التقنيات الحديثة وشبكات المعلومات في المكتبات الجامعية . وقائع الندوة العربية للمعلومات حول: المكتبات الجامعية دعامة للبحث العلمي والعمل التربوي في الوطن العربي . تونس : مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات (سيرمدي) ومركز التوثيق القومي، ١٩٩٤، ص ص١٧ - ٤٦ .

* أبو شيخة ، نادر أحمد . إدارة البحث العلمي في الوطن العربي - قضايا وتساؤلات . الأردن : المنظمة العربية للعلوم الإدارية ، ١٩٨٦ .

* باشا ، سيد حسين . بعض معوقات البحث العلمي . ندوة عضو هيئة التدريس في الجامعات العربية المنعقدة بجامعة الملك سعود ١٤ - ١٤٠٣/٥/١٧هـ (٢٧ - ٣٠ / ١٩٨٣/٣م) . الرياض : الجامعة، ١٤٠٣هـ . ص ص ١ - ١٨ .

* بدر ، أحمد والقطان ، أحمد محمد. تعليم المستفيدين في المكتبات الأكاديمية مع دراسة حالة عن مكتبة جامعة قطر . وقائع الندوة العربية للمعلومات حول: المكتبات الجامعية دعامة للبحث العلمي والعمل التربوي في الوطن العربي . تونس:

مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات (سيرمدي) ومركز التوثيق القومي، ١٩٩٤ ، ص ص ٦١ – ٧٨ .

* بلوش ، كمال . المكتبة الجامعية الجزائرية بين المتاعب والآمال . **وقائع الندوة العربية للمعلومات حول: المكتبات الجامعية دعامة للبحث العلمي والعمل التربوي في الوطن العربي** . تونس : مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات (سيرمدي) ومركز التوثيق القومي، ١٩٩٤ . ص ص ٧٩ – ٩٤ .

* بوعزة ، عبدالمجيد وقدورة ، وحيد . سلوك المدرسين الباحثين التونسيين الجامعيين في العلوم الأساسية والتطبيقية تجاه المعلومات . **عالم الكتب** . مج١٤، ع٤ (المحرم – صفر ١٤١٤هـ) . ص ص ٣٨٩ – ٤١٢.

* بوعزة ، عبدالمجيد . تسويق خدمات المكتبات الجامعية . **وقائع الندوة العربية للمعلومات حول المكتبات الجامعية دعامة للبحث العلمي والعمل التربوي في الوطن العربي**. تونس: مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات (سيرمدي) ومركز التوثيق القومي، ١٩٩٤ . ص ص ٩٥ – ١١٥ .

* توصيات المؤتمر الثالث للوزراء المسؤولين عن التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي . **المجلة العربية لبحوث التعليم العالي** . ع٤ (ربيع الآخر ١٤٠٦هـ) . ص ص ١٤٦ – ١٥٣ .

* توق ، محي الدين . التربية المستمرة ودور الجامعات في تطويرها . **رسالة الخليج العربي** . س٥ ، ع١٥ (١٤٠٥هـ) . ص ص ٣ – ٣٤ .

* الخاروف ، يونس أحمد . صعوبات استخدام الطلبة للمكتبات الجامعية العربية – مراجعة وعرض للدراسات المنشورة وغير المنشورة. **عالم الكتب** . مج١٢، ع٤ (ربيع الآخر ١٤١٢هـ) . ص ص ٥١٣ – ٥١٩ .

* الربيع ، محمد بن عبدالرحمن . **من قضايا البحث العلمي في الجامعات السعودية** . الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – عمادة البحث العلمي ، ١٤١٥هـ .

* السالم ، سالم محمد . **خدمات المستفيدين في المكتبة المركزية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية** – دراسة تقويمية . شوال ١٤١٣هـ (غير منشورة) .

* السالم ، سالم محمد . **واقع البحث العلمي في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – دراسة لاتجاهات أعضاء هيئة التدريس** . ١٤١٦هـ . (دراسة تحت النشر).

* سلطان ، حنان عيسى والعبيدي ، غانم سعيد شريف . **أساسيات البحث العلمي بين النظرية والتطبيق**. الرياض : دار العلوم للطباعة والنشر ، ١٤٠٤هـ .

* عباس ، هشام بن عبدالله . اتجاهات أعضاء هيئة التدريس بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الملك عبدالعزيز نحو مكتبة الكلية – دراسة تطبيقية. **عالم الكتب** . مج٩، ع٣ (محرم ١٤٠٩هـ) . ص ص ٣٠٨ – ٣١٨.

* عبيد ، عامر . المكتبة الجامعية ودورها في العملية التعليمية : دراسة ميدانية لمكتبات جامعة الفاتح . **وقائع الندوة العربية للمعلومات حول: المكتبات الجامعية دعامة للبحث العلمي والعمل التربوي في الوطن العربي**. تونس : مركز الدراسات العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات (سيرمدي) ومركز التوثيق القومي ، ١٩٩٤. ص ص٢٢٧ – ٢٥٤.

* العساف ، صالح بن حمد . **المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية** . الرياض : شركة العبيكان للطباعة والنشر ، ١٤٠٩هـ . (سلسلة البحث في العلوم السلوكية – الكتاب الأول) .
* العقيلي ، عبدالعزيز محمد . مراكز البحوث في الجامعات السعودية . **المجلة العربية لبحوث التعليم العالي** . ع٢ (ديسمبر ١٩٨٤) : ١٢٥ – ١٣٥.
* عليان ، ربحي مصطفى . خدمات المكتبات الجامعية – دراسة حالة لمكتبة جامعة البحرين . **وقائع الندوة العربية للمعلومات حول: المكتبات الجامعية دعامة للبحث العلمي والعمل التربوي في الوطن العربي** . تونس : مركز الدراسات العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات (سيرمدي) ومركز التوثيق القومي ، ١٩٩٤. ص ص ٣٠٧ – ٣٣٧.
* عمر ، أحمد أنور . طبيعة البحث العلمي وانعكاساتها على مكتبات الجامعات . **مجلة المكتبة العربية** . ع٣ – ٤ (١٩٦٥). ص ص ٥ – ١٦ .
* الغضاب ، رفيق . دور مكتبات مؤسسات التعليم العالي في التربية والبحث العلمي . **وقائع الندوة العربية للمعلومات حول : المكتبات الجامعية دعامة للبحث العلمي والعمل التربوي في الوطن العربي** . تونس : مركز الدراسات العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات (سيرمدي) ومركز التوثيق القومي ، ١٩٩٤. ص ص ٢٦٢ –٢٧٥.
* قاسم ، حشمت . **خدمات المعلومات – مقوماتها وأشكالها** . القاهرة : مكتبة غريب ، د . ت .
* قاسم ، حشمت . **مدخل لدراسة المكتبات وعلم المعلومات** . القاهرة : مكتبة غريب ، د . ت .
* قاضي ، صبحي عبدالحفيظ . **قضايا جامعية** . الدمام : دار الإصلاح للطبع والنشر والتوزيع، ١٤٠٤هـ.
* قدورة ، وحيد . خدمات المكتبات الجامعية بتونس – المعوقات وسبل تجاوزها . **المجلة المغربية للتوثيق والمعلومات** . ع٤ ، (مارس ١٩٨٦) : ١٠٩ – ١٣٤ .
* قدورة ، وحيد . استخدام المعلومات العلمية والتقنية من طرف الباحثين التونسيين في العلوم الاجتماعية . **وقائع الندوة العربية للمعلومات حول : المكتبات الجامعية دعامة للبحث العلمي والعمل التربوي في الوطن العربي** . تونس : مركز الدراسات العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات (سيرمدي) ومركز التوثيق القومي ، ١٩٩٤. ص ص ٢٨٥ – ٢٩٦ .
* مرسي ، محمد عبدالعليم . ترشيد جهود أعضاء هيئة التدريس في الجامعات الخليجية في مجال البحث العلمي . **وقائع الندوة الفكرية الثانية لرؤساء ومديري الجامعات في الدول الأعضاء بمكتب التربية العربي لدول الخليج**. جامعة الملك عبدالعزيز بجدة ٢٣ – ٢٥ رجب ١٤٠٥هـ / ١٣ – ١٥ أبريل ١٩٨٥م . الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٧هـ .
* الهادي ، محمد محمد . المعلوماتية والبحث العلمي . **حولية المكتبات والمعلومات** . مج٢ (١٤١٠هـ) . ص ص١٢١ – ١٤٥.
* الهبايلي ، حسين . كلمة الدكتور حسين الهبايلي رئيس الاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات . **وقائع الندوة العربية للمعلومات حول : المكتبات الجامعية دعامة للبحث العلمي والعمل التربوي في الوطن العربي** . تونس : مركز الدراسات العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات (سيرمدي)

ومركز التوثيق القومي ، ١٩٩٤. ص ص ٨ – ٧ .

* الهبايلي ، حسين . المكتبة الجامعية الإلكترونية والبحث العلمي . **وقائع الندوة العربية للمعلومات حول : المكتبات الجامعية دعامة للبحث العلمي والعمل التربوي في الوطن العربي** . تونس : مركز الدراسات العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات (سيرمدي) ومركز التوثيق القومي ، ١٩٩٤. ص ص ٣٥١ – ٣٥٩ .

* الهمشري ، عمر . مكتبة الجامعة الأردنية : دراسة استطلاعية لآراء الطلبة وأعضاء هيئة التدريس. **مؤتة للبحوث والدراسات** . مج٤ ، ع٢ (١٩٨٩). ص ص ٢٦٣ – ٣٢٦ .

* AL-SALEM, SALEM MUHAMMED. AN INVESTIGATION OF THE RELATIONSHIP BETWEEN ACADEMIC ROLE AND THE INFORMATION - SEEKING BEHAVIOR OF Adult Education Faculty Members. PH. D. Disserfation . University WISCONSIN- MADISON. 1989.

* AHMAD, NAZIR. **UNIVERSTITY LIBRARY PRACTICES IN DEVELOPING COUNTRIES.** LONDON : K PI, 1984 .

* ASHOOR, MOHAMMED SALEH. **A SURVEY OF USER'S ATTITUDES TOWARD RESOURCES AND SERVICES OF THREE UNIVERSITY LIBRARIES IN SAUDI ARABIA.** PH. D. DISSERTATION. UNIVERSITY OF PITTSBURGH, 1978 .

* ELAYYAN, RIBHI MUSTAFA. **AN INVESTIGATION INTO THE INFORMATION - SEEKING BEHAVIOR OF EDUCATIONALIST WITH SPECIAL REFERENCE TO THE FACULTY OF EDUCATION IN THE UNIVERSITY OF JORDAN.** MASTER THESIS. UNIVERSITY OF WALES, 1980.

* GROVER, ROBERT AND HALE, MARTHA. THE ROLE OF THE LIBRARIAN IN FACULTY RESEARCH. COLLEGE AND RESEARCH LIBRARIES. 49 (1988) : 9 - 15 .

* KAWASH, MARIAMN. **USE OF INFORMATION BY ACADEMIC STAFF IN SCIENTIFIC FACULTIES IN JORDAN UNIVERSITY.** MASTER THESIS . THE CITY UNIVERSITY, 1982.

KNAPP, **PATRICIA. COLLEGE TEACHING AND THE COLLEGE LIBRARY.** AMERICAN COLLEGE AND RESEARCH LIBRARIES MONOGRAPH. NO. 23. CHICAGO : AMERICAN LIBRARY ASSOCIATION, 1959 .

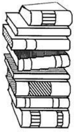
KNAPP, PATRICIA. COLLEGE TEACHING AND THE LIBRARY. ILLINOIS LIBRARIES. 40 (1958) : 828 - 831.

* NELSON, J. FACULTY AWARENESS AND ATTITUDES TOWARD ACADEMIC LIBRARY REFERENCE SERVICES - A MEASURE OF COMMUNICATION . COLLEGE AND RESEARCH LIBRARIES. 34 (1973) : 268 - 275.

RITTER, VERNON. AN INVESTIGATION OF CLASSROOM LIBRARY RELATIONSHIPS ON A COLLEGE CAMPUS AS SEEN IN RECORDED CIRCULATION AND GPA'S. COLLEGE AND RESEARCH LIBRARIES 29 (1968) : 31 - 32 .

* STOAN, STEPHEN K. RESEARCH AND LIBRARY SKILLS - AN ANALYSIS AND INTERPRETATION. COLLEGE AND RESEARCH LIBRARIES . 45 (1984) : 99 - 109.

* WHITE, MARILYN DOMAS. THE COMMUNICATIONS BEHAVIOR OF ACADEMIC ECONOMISTS IN RESEARCH PHASES. **THE LIBRARY QUARTERLY.** 45 (1975) : 337 - 354.



نصوص تراثية محققة

فائت الدواوين المطبوعة

جمعه ورتّبه

وليد محمد السراقبي

العين - الإمارات العربية

تقديم

وقفت خلال قراءاتي في كتب اللغة والأدب، وخلال عملي في تحقيق بعض نصوص التراث العربي، وقفت على مجموعة أشعار لمجموعة غير قليلة من الشعراء، كانت قد أخلّت بها دواوينهم أو مجموعاتهم الشعرية الموجودة بين أيدي الناس اليوم، فأردت أن أنشرها على الناس لتعمَّ الفائدة، وليتمَّ ضمّه إلى دواوينهم.

وقد جعلت هذه الفائت مرتَّباً بحسب أسماء الشعراء مراعياً فيها الترتيب الهجائي، ومشيراً إلى كنيته أو اللقب الذي اشتهر به، وراعيت ذلك في ترتيب القوافي أيضاً، وأشرت كذلك إلى اسم البحر الذي ينتمي إليه هذا الشعر. ثُم عمدت في النهاية إلى تخريجه من مظّانه، وأتبعت ذلك كله بذكر مصادر التخريج عامة.

وبعد: فلي وطيد أملي في الله أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجد فيه إخوتي من الغيورين على العربية وتراثها، كبير فائدة إن شاء الله، والله ولي التوفيق.

* إبراهيم بن هرمة القرشي:

(قافية الهمزة) [المنسرح]

١- أَعْلَمُ أني طريقُ سابلة
من المنايا كنت أنسؤها

٢- إنَّ مصابَ المنون يتبعهُ
ولو تمادى لابدَّ مخطئُها

البيتان في وضح البرهان في مشكلات القرآن ١: ١٦٠.

(قافية الراء) [الطويل]

١- وكنتُ امرأً لم أبْعِ بيعةَ باطلٍ
بحق ولم أخذْ بأيمنَ أعْسَرا

البيت في البرصان والعرجان: ٣٥.

(قافية الهاء) [المنسرح]

١- وَلَنْ تراني إلاَّ أخاطلك
أدلي إليها دَلْوي فَأَدْلُوها

٢- سهلُ المحيًا تُلْفَى طلائقُه
مثل وَحْي السلام تَقْروها

البيتان في وضح البرهان ١ : ١٩٠، ٤٥٠

* أحمد بن أبي فنن :

(قافية الضاد) [الطويل]

١- ومَجْدولةٍ جَدْلَ العنان كأَنَّها
إذا أَقْبلتْ بَدْرٌ يميسُ على الأرضِ

٢- كليلةُ أرجاء العيون ولحظُها
يقومُ بإبرام المنيَّةِ والنَّقْضِ

٣- تُرى فترى منها محاسنُ كلَّها
سواءٌ ، فلا بَعْضٌ يزيدُ على بَعْضِ

٤- وتستوقِفُ الركبَ العجَال إذا بَدَتْ
فلا أحدٌ يمضي مِن القومِ أو تمضي

الأبيات في المحب والمحبوب ١: ١٩٩، والبيت الرابع في الأشباه والنظائر بلا عزو ١: ٢٦، وروايته في الأشباه: «...العجال بطرفها فما أحد....».

* إسماعيل بن القاسم (أبو العتاهية):

(قافية السين) [البسيط]

١- نزِّهْ مشيبك عن شَيْنٍ يُدَنِّسُهُ
إنَّ البياضَ قليلُ الحَمْلِ للدَّنسِ

البيت في شرح مقصورة ابن دريد: ٤٦٠.

* أُمَيّة بن أبي الصلت:

(قافية الميم) [البسيط]

١- أَصْلابُهم مُوْجداتٌ في جَماجِمِهم
صُمُّ القوائم لم يوصَلْ لهمْ قُصَمُ

البيت في كتاب الجيم ٣ : ٥٩.

(قافية الهاء) [الطويل]

١- إذا شجيت بالمُفرهات قُدورها
وجاش عليها يَهْزِمُ الغَلْيَ لَوْنُها

البيت في كتاب الجيم ٣ : ٥٩.

* أوس بن حجر :

(قافية الجيم) [البسيط]

١- لم يعدُ أنْ شالَ ثدْياها كأنَّهما
رُمَّانتازبد بالماء عجَّاج

البيت في كتاب الجيم ٢ : ٦٢، والزَّبد : الكثير الزَّبد لاصطخابه.

(قافية الدال) [الطويل]

١- فلستَ وإنْ علّلتَ نفسك بالمنى
بذي سؤدد ولاكَرْب سيِّد

البيت في كتاب الجيم ٣ : ٥٩.

(قافية العين) [الطويل]

١- فقد قرَّ أعيانَ الشوامت أنَّهم
برامة أُحدانٌ ضحى الغد ظلَّعُ

٢- وأنت عكامٌ لا يصاب له هوى
وذو همَّةٍ في المال وهو مضيَّعُ

البيت الأول في كتاب الجيم ٢ : ٢٨٦، والثاني في الجيم أيضًا ٢ : ٣٠٦، واللسان بلا عزو.

(قافية الفاء) [البسيط]

١- لا يَثْبتون على مَتْونها شَرَفاً
حتى تَميل بُعَيْدَ اللبَّة الخُنُف

٢- حتَّى تراهُم وقد مالتْ عَمائمهم
صَرْعى الغبار ومرميَّاً به العُطُف

البيت في الجيم ٣ : ٥٩، والثاني في الجيم أيضًا ٢: ٣٠٦.

(قافية اللام) [الطويل]

١- فتلك التي يُرْدي الرميَّة سَهْمُها
ويخْرجُ منها نافذاً يَتَزَلْزَلُ

البيت في كتاب الجيم ٢: ٦١، ويتزلزل: يضطرب.

وقال: [الطويل]

١- فظلَّ سنانُ الرمح لمَّا عَباْتُهُ
على حَذرٍ منهنَّ عَلاّنَ ناهلا

البيت في كتاب الجيم ٢ : ٣٠٦.

* تماضر بنت الشريد (الخنساء):

(قافية الفاء) [الخفيف]

١- أنا باكٍ عليك للمعروف
وَ لكَرِّ الكُماة بين الصفوف

٢- ولأنِّي إذا عَدَدْتُ شريفاً
كنتَ يا صخرُ عَيْنَ كل شريف

٣- كانَ منك العفاةُ بينَ ربيعٍ
ونَدى عامرٍ وبَيْن خريفِ

٤- فلئنْ غالكَ الزمانُ لقدْماً
كنتَ يا صخرُ مَفْزَعَ الملهوفِ

الأبيات في المراثي : ١٣٢.

* جميل بثينة :

(قافية النون) [الكامل]

١- حمراء تامكةُ السَّنام كأنَّها
جملٌ بهودَجِ أهله مظعونُ

٢- جادَتْ له عمرو الغداة يمينُه
كلتا يدي عمرو الغداة يمينُ

٣- ما إنْ يجودُ بمثلها في مثله
إلا كريمُ الخيم أو مجنونُ

الأبيات في البرصان والعرجان: ٣٤٩ منسوبة إلى جميل، وهي في الحيوان ٣: ١٠٧ بلا نسبة.

* حبيب بن أوس الطائي (أبو تمَّام):

(قافية الراء) [البسيط]

١- عندي غِناءٌ وأنواع من الزَّهَر
والشربُ مجتمعٌ والوَرْدُ منتشرُ

٢- وليسَ يَمْنعنا إلا النبيذُ وما
في ظرفنا منه إلا الريحُ والأثرُ

٣- فنحن مثلُ رحى الطحَّان أحضرها
قَمْحاً ليطحنه والقطبُ منكسرُ

٤- ومثل قوس ونشّاب يجمـ
عها الرامي وليس في قوسه وترُ

٥- فاخرطْ لنا قطباً وافتل لنا وتراً
يامَنْ يفضلّه في جوده البَشَرُ

الأبيات في فصول التماثيل: ١٨٧.

(قافية الألف المقصورة) [الطويل]

١- ذرا المنبر الصعب من فرشه
ونارَ الوغى نارُه للصلّي

البيت في شرح مقصورة ابن دريد : ٣٠٥.

* حندج بن حجر الكندي (امرؤ القيس)

(قافية الخاء) [الطويل]

١- إذا حركُوها قلتُ أسرع وثبةً
مِنَ الفخِّ إمّا حركَتْ حبّة الفخِّ

* الحسن بن رشيق القيرواني :

(قافية الهمزة) [الكامل]

١- ولِفَرْط ماقلَّ الخليطُ رفعتُها
عمّا يكون بها من الخُلطاء

البيت في الأفضليات : ١٣٢.

(قافية الباء) [المنسرح]

١- تزأرُ في الكأسِ وهْيَ مزبدةٌ
كأنّ حبسَ السُّقاة أغْضبها

٢- سجّتْ مراراً كأنَّ شاربها
لم يستطعْ قتْلَها فعذَّبها

٣- وقامَ بالكأسِ بيننا قمرٌ
يُديرُ ذي اليمين كوكبها

٤- فقلت خذها وهاتها عجلا
فقالَ : لا تكثر التعتُّب لها

الأبيات في الأفضليات : ١٣٢.

* الحسين بن مطير :

(قافية الهمزة) [الخفيف]

١- كلَّ يومٍ بأُقحوانٍ جديدٍ
تضحكُ الأرضُ مِنْ بكاءِ السماءِ

البيت في غريب الحديث للخطّابي ١: ٤١٣.

(قافية الباء) [الوافر]

١- أُحبُّ مكارم الأخلاق جهدي
وأكرهُ أنْ أعيبَ وأنْ أُعابا

٢- ومَنْ هابَ الرجالَ تهيَّبوه
وشرُّ الناسِ مَنْ يَهْوى السِّبابا

٣- ومَنْ هابَ الرجالَ تهيَّبوه
ومَنْ حقر الرجال فلن يُهابا

الأبيات في غرر الخصائص الواضحة: ١٧.

(قافية الفاء) [الكامل]

١- إنَّ الغواني جَنَّةٌ ريحانُها
نَضْرُ الحياة فأينَ عنها نعزفُ

٢- لَولا ملاحتُهنَّ ما كانت لَنَا
دنيا نكذِّبُها ولا نتصرَّفُ

البيتان في روضة المحبين : ١٧٤.

* حميد بن ثور الهلالي :

(قافية العين) [الطويل]

١- إذا النوقُ لم تملكْ سِجَالاً تفضُّها
مِنَ البَوْلِ واهتزَّ الهُفَافُ السُّمَيْدَعُ

البيت في غريب الخطابي ١: ٤١٣.

(قافية النون) [الوافر]

١- كأنَّ سَمومَها سَرعانُ نارٍ
إذا ما شمسُها صَفِنَتْ صُفُونا

البيت في غريب الخطابي ١: ٣٩٧.

* خداش بن زهير :

(قافية الميم) [الطويل]

١- وقد كنتُ هجّاءً لهمْ ثمَّ كَفْكَفوا
نواقَد قَوْلي بالهُمامِ هِشامِ

البيت في نهج البلاغة : ٤: ٢٩٣.

* دعبل الخزاعي :

(قافية الحاء) [الطويل]

١- وقالَ أناسٌ إذ رَأَوْا فضلَ مِدْحتي
لعمران والنائي والمقاومُ يمدحُ

البيت في الأفضليات : ١٢٦.

* رؤبة بن العجاج :

(قافية الباء) [الرجز]

١- وفارجاً مِنْ قضْبِ ما تَقَضَّبا

البيت في شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف: ٧٣

(قافية التاء) [الرجز]

١- أحضرْتُ أهلَ حضرْموت مَوْتا

البيت في شرح ديوان أبي تمام ١: ١٥٣.

(قافية الميم) [الرجز]

١- غمدَ مولانا الأجلَّ الأفخما

البيت في غريب ابن قتيبة ١: ٤٨٩، اللسان (قحم).

(قافية النون) [الرجز]

١- يابنَ هشام أهلك الناسَ اللَّبَنْ

فكلُّهم يغدو بقوسٍ وقَرَنْ

البيت في غريب ابن قتيبة ١: ٣٧٠، وإصلاح المنطق: ٥٤، وسمط اللآلئ ١: ٢٤، والصناعتين: ٣٦٩، واللسان (قرن) – القرن: جعبة من جلود تشق ثم تخرز.

* الزبرقان بن بدر :

(قافية الراء) [السريع]

١- فرسانُ صِدقٍ في الصباح إذا

كثُرَ الصياحُ ولَجَّ في النَّقْرِ

البيت في نضرة الإغريض : ٧٤.

* زياد الأعجم :

(قافية الميم) [الطويل]

١- وفي الحِلْم والإسلام للمرءِ وازعٌ

وفي ترْك طاعات الفؤادِ المتيمِ

٢- فصائمُ رشد للفتى مُسْتَبِينه

وإخلاصُ صِدْقٍ علْمُها بالتعلُّم

البيتان في شرح مقصورة ابن دريد: ٤١٣.

* زياد بن معاوية (النابغة الذبياني) :

(قافية الحاء) [الوافر]

١- فباتَ كأنَّه قاضي نُذُورٍ

سرَى لله ينتظرُ الصَّبَاحا

٢- فَصَبَّحَهُ كلابُ بني تميم

بجنْب الرَّدْه من حَدَد كفاحا

٣- فلمَّا أنْ تبيَّنَ ضاريات

وكلَّاباً يَعنَّ بهنَّ سَاحـــــا

٤- فأعملَ للنجاء مُحَذْرَفَات

نوائمَ أَذْرَفَتْ دَمْعاً صِحاحا

٥- فهنَّ شوارعٌ يطعمنَ فيه

ولو يتركْنه لجرى صِفَاحـــا

٦- فلمَّا أنْ دَنَوْتَ لهُ تأبَّى

ولولا بأوُهُ لهَجَا طِمَاحَا

الأبيات في كتاب الأنوار : ١٠٢

* عبدالله بن الدُّمَيْنة :

(قافية الميم) [الطويل]

١- إذا كنتَ مُرْتاداً لنجلك أمَّه

بنفسك فانظر من أبوها وأمُّها

٢- فإنهما منها كما هي منهما

كما قيس من نعل بنعل مثالُها

البيتان في البرصان والعرجان : ٢٣٥.

* عبدالله بن المعتز :

(قافية الحاء) [مجزوء الرجز]

١- وقهـــوةٍ صافيـــــة

كالمسك لمــــا نفحـــا

٢- شربت من دنانها

مــن كـل دنٍّ قـدحـا

٣- ورحت لا تحملنـــــي

أعواد سرجي مرحـــا

٤- من شدة السكر الذي

على فؤادي طفحـــا

الأبيات في فصول التماثيل: ٢٠٩ – ٢١٠.

(قافية الدال) [المتقارب]

١- سكرْتُ وعانقتُها ليلةً

على مثلها يحْسَدُ الحاسدُ

٢- وبتُّ وكفي على نحرها

وخدِّي على خدِّها راكدُ

٣- فإن هي عادت إلى مثلها

فكن ضامنا أنني عائدُ

الأبيات في فصول التماثيل : ٢١٠.

(قافية الراء) [المتقارب]

١- وقد زنَّروه بزنَّاره

فَدَيتُ الغزالَ ومَنْ زنَّره

٢- يتيه بجيد كجيد الغزال

ووجه يحيِّر مَنْ أبصرَهْ

البيتان في فصول التماثيل: ١٤٤.

(قافية الياء) [مجزوء الكامل]

١- في خـــده عقـــار...
محفوفة بالغــــالية

٢- سائـلــــة أذنابهـــا
حُمـــ...ن قاضيـــــة

٣- تلسعني إذا بـــدا
وجسمـــه ...ـي عانيـــة

الأبيات في المحب والمحبوب ١: ٣٨.

* عبيد بن حصين (الراعي النميري) :

(قافية الراء) [البسيط]

١- . . . .
كالجوز نُطِّق با...فصاف والحور

الشطر في المغرب ١ : ٢٣٣.

* عروة بن الورد العبسيّ :

(قافية اللام) [الطويل]

١- فمن يك أضحى من ل... شرابه
فَلَقْحتنا خضر... ...ون فصيلُها

البيت في فصول التماثيل: ٣٥.

* محمد بن سلطان (ابن حيُّوس) :

(قافية الهمزة) [الطويل]

١- لنا إبلٌ غرٌ يضيقُ بها ...فضا
ويفترّ عنها أ...ضُها وسماؤها

٢- فمن دونها أن تستباح دماؤها
ومن دوننا ... تستذمَّ دماؤها

٣- حمىً وقرىً ، فالموت د... مرامها
وأهونُ خطـ... ...يوم حقٍّ فناؤها

الأبيات في الأفضليات : ١٥٩

(قافية الراء) [الطويل]

١- فواجَهه جذلان حتى أ...
بُيْسرى يديْ كالشمال المخاطر

البيت في البرصان والعرجان : ٣٣٤.

* مسلم بن الوليد

(قافية الهمزة) [المجتث]

١- إذا الأبـــاريـــقُ حـــ...لي
كأنهـــ...ـنّ ظبـــــاءُ

٢- مقـــدمـــاتٌ مـلاءٌ
دمــوعــهـنّ طِـــــلاءُ

البيتان في فصول التماثيل : ١٣١.

(قافية الدال) [الخفيف]

١- لم نزلْ نشربُ المدام ونشدو
والثريَّا كأنّها عنقودُ

البيت في فصول التماثيل : ٣٩.

وقال

- تبشّ للماء حتى يستقيد لها
وإن علاها بتيّار من الزَّبد

- كأنها ولسان الماء يقرعُها
عقيقةٌ ضحكتْ في جانبي بَرَد

- قهقه فيها انكباب الماء فابتسمتْ
دراً يضاحكُ أحياناً لمنتقد

الأبيات في فصول التماثيل : ١٦٥.

وقال :

١- لأشربَنّ على تقادم عَهْدها
حَلَبَ الكروم شرابَ غير مصرَّدِ

٢- منْ قهوة كصفاء دمع مشوقة
مرهاء تاركة لكحل الإثمد

٣- ظلت مكاتمة فبين جفونها
رقراق دمع فاض أو فكأن قد

الأبيات في فصول التماثيل :١١٣.

(قافية اللام) [الطويل]

١- وقامت بإبريق وكأس رويَّة
فتاةٌ خيمُ الدَّلِّ ذاتَ شوى حَدْلِ

٢- كأن الثريَّا عُلّقت في يسارها
وبهرامُ في يمنى مبتلَّة طِفْلِ

٣- كأنَّ فضول الكأس في دبرانها
خلال شُدَّت بالخمار إلى حجْلِ

وقال :

١- فلم يبق سوى طعمها
ونُكهة ريح لها لم تزَلْ

٢- كفاي منْ شربها شمُّها
فرحت أجرُّ ثوب الثمَلْ

البيتان في فصول التماثيل: ٧٢

(قافية النون) [الطويل]

١- تركت صفات الخيل والخيل معقلٌ
وأصبحت في وصف البغالِ الكوادنِ

٢- حننت إليها ... في أمورها
فدى عبد البغل يا عبد مازنِ

البيتان في رسالة البغال للجاحظ : ١٨٩

وقال : [المنسرح]

١- ربَّ يوم لهو ... به
بمسمعات مـــن القيانِ

٢- وربَّ كأسٍ ... صـــرفاً
... شجيٍ مـــن الأغــــاني

٣- من كفِّ ذي ... لقٍ رخيم
لـــه على الخدِّ وردتانِ

٤- تعقـــــده كـ... شئت ليناً
... ـــه عـــود خيـــــزرانِ

٥- كأنـــه حامـ... إلينـــا
صـــقر عقيقٍ بدُ ستبانِ

الأبيات في فصول التماثيل : ١٦٢.

وقال : [المنسرح]

١- فلا ترى ضـ... بسنٌ
...سنَ منْ ضحكةِ القناني

٢- إذا تبسَّمْنَ ... مـــدامٍ
... ـــه مـــاء زعفـــرانِ

٣- ينحسرُ الليـ... دجاهُ
... الشمسُ في الصواني

الأبيات في فصول التماثيل : ١٣٨.

(قافية الألف المقصورة) [الطويل]

١- حثثنا فَغَنَّيْـ... شرب كأسه
و... كأساً وفي كفِّه أخرى

٢- فأمسك ما ... ـه بيمينه
وأوما إ... ساعي ليأخذَ باليسرى

٣- فشبَّهتُ كأ... كفيه إذ بدا
سراجين ... محراب قسٍ إذا صلّى

الأبيات في فصول التماثيل : ١٠٣.

* مطيع بن إياس :

(قافية الحاء) [الطويل]

١- وما كنت أدري ما فواضل كفه
على الناس حتَّى غَيَّبَتْهُ الصفائحُ

البيت في شرح مقصورة ابن دريد: ٣٧٤.

(قافية القاف) [المنسرح]

١- قد دلَّهتني طويلةُ العُنُقِ
وحبُّ طولِ الأعناقِ من خُلُقي

البـيت في البـرصــان والعـرجــان: ٢١٨، والحيوان ٥: ٦٣.

* هدبة بن الخشرم العذري :

(قافية الراء) [البسيط]

١- لَتُجدَعَنَّ أنوفٌ من أنوفكم
بني أميَّة إلا تقبلوا الغيرا

البيت في غريب الحديث : ١٦٩، واللسان (غير) ونسب فيه إلى بعض بني عذرة، وهو في تاريخ مدينة دمشق (عثمان بن عفان: ٣٦٥) منسوب إلى هدبة.

* الهيثم بن الربيع (أبو حيَّة النميري) :

(قافية الراء) [البسيط]

١- إنّي رأيتُ وفي الأيام تجربةٌ
للصبر عاقبةً محمودة الأثر

٢- وقلَّ من جدَّ في أمرٍ يحاولهُ
واستصحبَ الصبرَ إلا فازَ بالظفر

البيتان في حماسة النجفي ق ١٠٢/ و.

* يزيد بن عبيد السعدي (أبو وجزة السعدي) :

(قافية العين) [البسيط]

١- سلَّ الهوى ولبُانات الفؤاد بها
والقلبُ شاكي الهوى من حبِّها شلعُ

البيت في غريب ابن قتيبة ٢: ٥٤٩.

* يزيد بن مفرِّغ الحميري :

(قافية الراء) [الطويل]

١- يقولون: أوْس شاعرٌ فاحذرنَّه
وما أنا إنْ لم أهجُ أوساً بشاعرِ

٢- رأيت لأوسٍ خلفةً فشنأتها
لها زم حراثٍ وتقطيع حاذرِ

ثبت المصادر

١ - **الأشباه والنظائر**: الخالديّان، تحقيق السيد محمد يوسف .- القاهرة ، ١٩٥٨.

٢ - **إصلاح المنطق**: ابن السكيت، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون.- القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٠.

٣ - **الأعلام**: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين.- بيروت، ١٩٧٩.

٤ - **الأفضليات**: ابن الصيرفي، تحقيق وليد قصاب وعبدالعزيز المانع.- دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٩٨٢.

٥ - **الأنوار في محاسن الأشعار**: الشمشاطي، تحقيق السيد محمد يوسف. - الكويت: مطبعة الحكومة، ١٩٧٧.

٦ - **البرصان والعرجان**: الجاحظ، تحقيق محمد مرسي الخولي .- بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ص٤٤٥ .

٧ - **تاريخ مدينة دمشق (عثمان بن عفان)**، تحقيق سكينة الشهابي.- دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٩٨٤.

٨ - **الجيم**: أبو عمرو الشيباني، تحقيق إبراهيم الأبياري.- القاهرة: مجمع اللغة العربية، ١٩٧٤.

٩ - **الحيوان**: الجاحظ، تحقيق عبدالسلام هارون.- بيروت، دار إحياء التراث العربي.

١٠- **حماسة النجفي** : عباس النجفي، مخطوط بدار الكتب الظاهرية ، دمشق.

١١- **ديوان أبي تمام** (بشرح الخطيب التبريزي)، تحقيق محمد عبده عزام.- القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٧.

١٢- **ديوان الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم**: دراسة وتحقيق سعود محمود الجابر .- بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٢.

١٣- **ديوان هدبة بن الخشرم**: تحقيق يحيى الجبوري.- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٧٦.

١٤- **روضة المحبين**: ابن قيم الجوزية .- حلب: دار الوعي.

١٥- **شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف**: أبو هلال العسكري، تحقيق السيد محمد يوسف.- دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٩٨٩.

١٦- **غرر الخصائص الواضحة**: برهان الدين الوطواط.- بيروت، دار صعب.

١٧- **غريب الحديث**: ابن قتيبة، تحقيق عبدالله الجبوري.- بغداد: مطبعة العاني، ١٩٧٧.

١٨- **فصول التماثيل في تباشير السرور**: عبدالله بن المعتز، تحقيق جورج قنازع وزميله.- دمشق: مجمع اللغة العربية ، ١٩٨٩.

١٩- **المحب والمحبوب**: السري الرفاء، تحقيق المرحوم مصباح غلاونجي.- دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٩٨٦.

٢٠- **المراثي**: اليزيدي، تحقيق محمد نبيل طريفي.- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩١.

٢١- **لسان العرب**: ابن منظور.- القاهرة: دار المعارف.

٢٢- **نَضرة الإغريض في نُصرة القريض**: المظفر العلوي، تحقيق نهى عارف الحسن.- دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٩٧٦.

٢٣- **نهج البلاغة** (بشرح ابن أبي الحديد).- بيروت: دار الكتاب العربي.

٢٤- **وضح البرهان في مشكلات القرآن**: بيان الحق النيسابوري، تحقيق صفوان عدنان داودي، قدّم له مصطفى الخن.- بيروت: دار القلم، ١٩٩٠.

تراجم الأعلام

أحمد أمين

(بين الحضارة الإسلامية والتراث الشعبي)

نهلة الحمصي

الموسوعة العربية

دمشق

لاشك في أن اسم أحمد أمين، المؤرخ والكاتب والأديب المصري - يرحمه الله - إذا ذكر أمام أي دارس بتاريخ الحضارة الإسلامية في كليات الآداب في العالم العربي فلا بد له أن يذكر كتبه فجر الإسلام، وضحى الإسلام (بأجزائه الثلاثة)، وظهر الإسلام (بأجزائه الأربعة)، إذ لم تظفر كتب من الذيوع والانتشار والتأثير بمثل ما ظفرت به هذه المجموعة من الكتب، التي عدت من المصادر الجامعية المهمة للبحث والدرس خلال أربعة قرون من حياة العرب المسلمين الأولى، ففيها يطلع القارئ على العناصر المكونة للحضارة الإسلامية في تلك الحقبة، ويطلّع على الظروف التي أدت إلى ظهورها كالعوامل الجغرافية والسياسية والاجتماعية والأدبية.

ولقد كان أحمد أمين في كتبه هذه - كما في كتبه الأخرى - صريحًا في البحث والتحليل والملاحظة، عنيفًا في التعقيبات، وكان يمثل مدرسة تمكنت من التراث القديم واطلعت على تراث السلف، وعرفت مواطن القوة والضعف من ذلك التراث، فعالجته بالتقويم، كما أعجبت بروائع الأدب الغربي ومذاهبه فأخذت منه ما وافق الطبع والذوق، وبقيت مشدودة إلى تاريخ الإسلام وحضارته العقلية العربية.

غير أن أحمد أمين الذي تربى في حارة بلدية، تكثر فيها العادات والتقاليد(١)، وضربت جذوره في القديم، في الجو العائلي الذي عرفه في شبابه وفي الأزهر حيث درس(٢)، كان له وجه آخر طريف في الكتابة، فقد عني بتقييد العادات والتقاليد الشعبية، كما سجّل التعابير التي يستعملها العوام بلغتهم في كتابة: «قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية»، ولم تكن حماسته للتغيير والإصلاح في البحث ومسايرة العصر تتنافى مع ما كان يستشعر به من راحة عندما يترك نفسه على ما اعتادت عليه من عادات شعبية في المأكل والمشرب أو ما ألفه من تقاليد في معاملة زوجته في الدار(٣).

كان أحمد أمين أثناء تحضيره كتاب «ظهر الإسلام» يغرق في تاريخ الطبري وابن الأثير وفلسفة إخوان الصفا وابن سينا، فكان إذا تعب يخرج من ذلك إلى النظر في المجلات الخفيفة، ويلتقط منها التعبيرات الشعبية المتداولة، وكانت مجلة الإذاعة قد طلبت منه سنة ١٩٣٨ الكتابة في موضوع تتعاقب مقالاته، فاختار أن يكتب مقالات في العادات والتقاليد المصرية، رتبها مبتدئًا بحرف الألف فبلغت أربع عشرة مقالة(٤).

ثم اختير عميداً لكلية الآداب سنة ١٩٣٩ فنصحه بعض أصدقائه أن يترك الحديث في التقاليد والعادات الشعبية لأنها لا تتناسب مع جلالة العمادة، مع أنه كما يذكر كان يرى أن الكتابة في هذا الموضوع أجمل من العمادة بجلالة قدرها!؟

وفي سنة ١٩٤٨ كان قد ترك منصب العميد فعاد إلى تقييد ما كان بدأه من العادات والتقاليد التي جرت أمامه في حارته الشعبية أو التي قرأها في كتب الأدب والتاريخ الشعبي، وكان مؤمنًا في أن الجوانب الشعبية لا تقلّ في نواحٍ كثيرة عن اللغة الفصحى وآدابها في دلالتها على حالة الشعوب، إضافة إلى ما فيها من فنٍ ممتع.

ويبدو أنه أراد تقييد عادات وتقاليد لم يعرفها أولاده من قبل، وبدأت تندثر، وكان يؤمن بأن المؤرخ في حاجة شديدة إلى تدوينها لينتفع بها فهي تمثل مرحلة من مراحل تطور المجتمع.

وقد اكتفى في ما جمعه من مواد كتابه باستقصاء العادات والتقاليد المصرية في العهد القريب من زمانه الذي انقضى وفي أيام شبابه الأولى، أي أواخر القرن التاسع عشر ومطلع النصف الأول من القرن العشرين. وهو يعترف في كتابه أنّ كثيراً من هذه العادات قد انقرض أو هو في طريقه إلى الزوال وبخاصة ما يتعلق بالنساء، وهو ينفي أنه يريد بهن التشهير فيما ذكره من عادات قديمة، فما كان يبغي إلا تسجيل قديم مرّ، يرى أن إطلاع قومه عليه ومقارنته بحاضرهم يجعلهم يشعرون بالتغيير.. وكان يرى أن انتشار الثقافة يقضي على العادات السيئة والخرافات، وبخاصة بين النساء، وأن تغلب المصريين على السيء من العادات مفخرة لهم إذ استطاعوا أن يتخلصوا مما كان يشغل تفكيرهم، فيقارنون بهدوء أين كانوا و أين صاروا؟

وكعادة أحمد أمين في البحث والاستقصاء الجديين فقد كان لا يكتفي بجمع ما كتب عن العادات والتقاليد؛ بل يحاول أن يدرس هذه العادات لمعرفة الموروث منها والمستحدث وأثر ذلك على الواقع الاجتماعي والفكري.

كما أنه في العودة إلى التعابير الشعبية يبحث عن أصولها ليظهر ما هو منها من أصل عربي وما هو دخيل من أصل تركي أو إيطالي أو فرنسي.

فهل كان لأحمد أمين خطة مرسومة في اختيار المواد التي ضمنها كتابه؟ أغلب الظن أنه كان يجمع ما يعنّ له دون ترتيب، وما يقيده من الكتب التي تتحدث عن العادات وما يسمعه من تعابير يستعملها العامة. فلما صار لديه ما يكفي لتأليف كتاب، عاد فرتّب ما تجمع لديه على حروف المعجم..

لذلك فقارئ الكتاب للمرة الأولى يقرأ عن عادات وتقاليد شتّى تبدو وكأن علاقة مفقودة بين موادها المتتابعة ولا يجمعها إلا العنوان الذي تحمله عن العادات والتقاليد.

ولكن عودة متأنية وتصنيفًا جديدًا لمواد الكتاب حسب الموضوعات تجعل الكتاب تأريخًا شعبياً بحق.

أكثر المواد المتعلقة بالتقاليد تصف الوضع الاجتماعي، فهي تتحدث عن عادات الناس في المدينة والريف، وفي المأكل والمشرب والملبس، تتحدث عن المعتقدات الدينية والخرافات التي يؤمنون بها، وعن أحوالهم في أفراحهم وأحزانهم، ونرى هذه المواد تتناول بالبحث: الخاطبة والضرّة، ونظام الطبقات والسخرة، والشركة في البهائم والرهن، وتتحدث عن الصعايدة، وعن العمدة والفتوة والشحاذين.. وعن الحمّام والختان وعن الشحاذين والصالونات، وعن الزواج والطلاق والبصبصة على النساء والبقشيش. ويفيض الكاتب في الحديث عن المعتقدات الخرافية التي يقول إن أكثر الناس قد نبذوها، وذلك في (حلب النجوم) والقرينة، والرقية والزار وشجرة العذراء وضرب الرمل وطاسة الخضّة، والعين، والبخور، والبعبع وتسخير الجن، وهو يورد في البحث أكثر الأمثال الشعبية المتعلقة بالمادة التي يكتب عنها.

ومع ذلك فما كانت موضوعات المواد التي أوردها متماثلة في مستواها، أو في تطويل الحديث عنها، وهو في ذكره لأحد التقاليد أو العادات يبين أصل الكلمة وما نشأ عنها من أمثال، ويستعين أحيانًا بنمط من المحاورة ليبين كيف يستعمل الناس المثل أو التعبير، وقد يورد أحيانًا قصّة يتناقلها العوام حول موضوع ذلك التقليد أو العادة. وفي آخر الكتاب صور بعضها رسمها للكتاب عبدالمجيد موافي وبعضها الآخر أخذه أحمد أمين مُن كتاب المستشرق لين «مصر الحديثة» أو من كتاب «المنجد» ومن هذه الصور صورة لأحد أفراد الطبقة العليا في العهد الماضي، وامرأة تلبس زي الخروج، وثانية في بيتها وأخرى من أعلى الصعيد في زيها، ورابعة متزينة مما كانت تتزين به النساء من أنماط الحلي.

والكاتب في حديثه عن العادات الاجتماعية يتعرض للمهن الشعبية كالمسحراتي والمنجراتي وبائع العرقسوس والسقا والرجل الذي يسن السكاكين والمسلكاتي.... وقد أورد لهؤلاء أيضًا صورًا في آخر الكتاب...

ونعود نقلب الكتاب فنرى الكاتب يتحدث عن كلمة إبرة التي يبدأ بها الكتاب ثم يلي ذلك كلمة أبريق فأبلس ثم كلمة ابن التي يفيض فيها وكذلك كلمة أبو. وهكذا ينتقل من حرف إلى آخر حسب الترتيب الأبجدي حتى تبلغ مواد الكتاب خمس مئة موضوع إضافة إلى التعابير التي يستعملها الناس في المدينة والريف والتي أوردها في آخر الكتاب.

وسأذكر مثالين مما أورد، هما كلمة إبرة وأسبوع أو سبعة :

ففي كلمة إبرة يورد ما يلي:

الإبرة هي الأداة المعروفة؛ وقد أصبحت محورًا يدور عليها كثير من الاعتقادات المصرية والأدب المصري الشعبي، وقد أخذت هذه الاعتقادات تندثر تبعًا لرقي الأمة واستنارتها...

كان عامة المصريين يحرّمون بيع الإبر بعد العصر، وكان على باب حارتنا عطار، لو بذلت له عشرة قروش ثمن إبرة بعد العصر لا يرضى أن يبيعها.

وأساس ذلك عندهم خرافة شائعة، وهي أن الملائكة الموكلة بقسمة الأرزاق تنزل بعد العصر فتقسم الأرزاق حسب الحالة التي يرون عليها الإنسان، فإذا كان في سعة من العيش زادته سعة وإن كان في ضيق أعطته على قدره، وهم يعتقدون أن حرفة الخياطة من أبأس الحرف وأفقرها، فهم يكرهون أن تراهم الملائكة على هذا البؤس فترزقهم على قدر بؤسهم. فحرّموا من أجل ذلك الخياطة وبيع الإبر بعد العصر.

وفي بعض القرى تتشدد النساء في ذلك، فلا يعرن إبرة لأي سبب بعد العصر. وعندهم نوع من الإبر يسمى الإبرة الغشيمة وهي الإبرة التي لا عين لها، وهي في الأصل إبرة أخطأت الآلات أن تصنعها، وكان السبب في الإقبال عليها اعتقاد العجائز أنها تبطل السحر.

وقد دخلت الإبرة في الأدب المصري الشعبي، كما دخلت في الأدب العربي، فهي في الأدب المصري سبة للمرأة، فإذا رأت امرأة امرأة غيرها نحيفة جداً وكانت جلد على عظم عيرتها بأنها إبرة، «ثم يتحدث عن تغير النظرة إلى نحول المرأة» ويستعرض بعد ذلك الأمثال التي قيلت في الإبرة، فمن الأمثال: «يفتي على الإبرة ويبلع المِدْرة». والمدرة هي المذراة التي يذرى بها القمح . (وفي سورية يقولون يفتي على الإبرة ويبلع المسلّة، وهي الإبرة التي تخيط بها الفرش) ويشرح الكاتب معنى المثل بأنه مثل يضرب لمن يحرّم على الناس صغائر الأمور ويرتكب كبائرها، فهو يحاسب غيره وينسى نفسه. ومن أمثالهم: «الإبرة اللي فيها خيطين ما تخيطش» ويقال المثل

لتعدد الرؤساء والخوف من فساد العمل لكثرة الأوامر المتناقضة. ومن الأمثال: «التركي يحفر البير بإبرة» للدلالة على صبره حتى ينال غرضه.

ثم يأتي الكاتب بآيات من القرآن الكريم وهي: ﴿ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾ وسَمُّ الخياط هو ثقب الإبرة. والجمل معناه هنا الحبل الغليظ.

وأخيراً؛ يتحدث عما شاع في الأيام الأخيرة من التعابير التي تدخل لفظة الإبرة فيها، ومن ذلك: «سياسة وخز الإبر» ويعنون بذلك سياسة العداء في الخفاء التي تخز وخزاً دون أن يسيل دماً.

وفي حديثه عن مادة «سبعة» يقول: يقدّس المصريون عدد سبعة؛ لأن الله خلق الدنيا في ستة أيام واستراح في اليوم السابع، وهم يقولون السماوات سبع والأرضون سبع وأيام الأسبوع سبع، ولذلك يجري هذا العدد على ألسنتهم كثيراً، فيقولون «السبعة وذمّتها» و «والديب فات فات وديله سبع لفات» و «وسبع صنايع بايديه والهم فايت عليه» و «ويتكلم بالسبع تلسن» كما يغنون «سبع سواقي بتنعي لم طفوا لي ناري» وهكذا.

وكثير من الأدعية يطلب من صاحبها أن يكرر سبع مرات.

وقد نال بعض هذه المزيّة عدد السبعين، فيقولون: ستين سنة وسبعين يوم، وفي القرآن الكريم ﴿إن تستغفر لهم سبعين مرة﴾.

ثم ينتقل الكاتب إلى حديثه عن السبوع وهو اليوم السابع من ولادة الطفل، فالطبقة الوسطى والعليا يعتنون بذلك اليوم فيطبخون فيه كشكاً بفراخ، ومن أمثالهم هو فرخة بكشك أي إنه عزيز كالمولود، لأن الكشك بالفراخ يذكّر بذلك المولود.

ثم يدقون ملحاً في البيت حفظاً له من العين، ويغنون: برْجالاتك برْجالاتك حلقة دهب في اوداناتك والرْجالات جمع رجل، ويظهر أن الأغنية مأخوذة من أغاني البدو كما تدل على ذلك صيغة الغناء.

وفي يوم السبوع وقبله وبعده يشرب المغات، وهو نبات هندي أميل إلى الصفرة، ويزرع الآن في مصر أيضاً، ويدق وتوضع عليه بعض عقاقير يعرفها العطّارون حتي يصير ناعماً، فإذا أريد عمله حمّر في السمن ثم أضيف عليه الماء حتى يغلي، ثم يضاف عليه بعض اللوز المقشر المكسّر، والسكر، ثم يعبأ في فناجين ويشرب.

ويعتقدون بأنه نافع للوالدة لأنه يشدّ أعصابها التي أنهكتها الولادة. وعلى العموم فاليوم السابع في كثير من الحالات له تقديس خاص، كسبوع الزواج وسبوع الميت، إنما لم يشتهر كسبوع الطفل عند الولادة.

وبعد؛ فالكتاب وجه آخر للأديب الكبير أحمد أمين، كان يجد في كتابته عودة إلى روح الشعب في عاداته ومعتقداته وفي التعابير التي يستعملها.

الهوامش والمراجع

١- من مقدمة كتاب قاموس العادات والتقاليد – أحمد أمين.

٢- من مقالة لحسين أحمد أمين بعنوان (أحمد أمين ذكريات عنه) – مجلة فكر وفن العددان ٤٨ – ٤٩.

٣- (المصدر السابق نفسه).

٤- من مقدمة كتاب قاموس العادات.

حياة الوعي الفني

لغيورغي غانشف

ترجمة : نوفل نيّوف

عبد اللطيف حسين الأرناؤوط
اتحاد الكتاب العرب
دمشق - سوريا

غانشف، غيورغي/ حياة الوعي الفني؛ ترجمة نوفل نيّوف.- الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٩٠ (عالم المعرفة، ١٤١٦)، ٢٧٣ص.

صدر هذا الكتاب في سلسلة عالم المعرفة، وهو يقع في ٢٧٣ صفحة من القطع المتوسط، مؤلفه غيورغي غانشف باحث بأكاديمية العلوم السوفيتية، له دراسات نقدية حول الإبداع والفن، يحاول فيها أن يفسر الفنّ من منظور المادية التاريخية، وهو يكمل دراسات فيشر ويليخانوف في هذا المجال. فيتناول دراسة الصورة الفنية وتشكلها عبر التاريخ في محاولة أشبه بنظرية تاريخية للصورة أو تاريخ نظري لها.

يتألف الكتاب من قسمين: في القسم الأول يتناول المؤلف نشأة الصورة الفنية ومراحل تطورها عبر التاريخ، وفي القسم الثاني ينتقل إلى الحديث عن تطور الوعي الفني في الأدب عبر مختلف العصور الأدبية حتى العصر الحديث.

نشوء الصورة الفنية

يطلق المؤلف كلمة الصورة على (الكل الفني المكتمل)، سواء أكان استعارة، أم ملحمة كالحرب والسلام لتولستوي، فيرى أن العلاقة بين الحس العقلي أو المعرفي والإبداعي في الكلام تعكس، على نحو دقيق، العلاقات بين الفرد والمجتمع في كل عصر. فمقدمات الصورة الفنية تشكلت في وعي الإنسان المعاصر لمعالم ثقافة ما قبل التاريخ، وإعجابه بها، والصورة في أساسها تقوم على علاقة تشبيه ومقارنة فهي تربط بين الطبيعة والمجتمع، فاللون الأحمر كنجمٍ كسهيل، كان يذكر الإنسان القديم بالدم، وينبه بفتن وحروب، قد تجري في المجتمع، وهذه الصلة التي تربط الطبيعة بالمجتمع في الفن إنما تعكس التناقض في التاريخ البشري، فالعمل والإنتاج البشريان هما بمثابة وسيط أو تبادل بين المواد يعكسان وعي الإنسان. إن الحجر الذي يقذف به الإنسان الحجري الوحش، لم يعد حجرًا في نظره؛ بل أصبح له وظيفة اجتماعية وتكمن قيمته في أنه وسيلة للقذف، وقد تمَّ التخطيط لهذه الوظيفة في العقل، مثل ممارستها باليد، وبهذا المعنى تكون بنية المجتمع في كل لحظة مفتاحًا لمنهج فهم الطبيعة، ومن ذلك بنية الصورة فالصلة الفنية بين الأشياء هي صلة مقارنة وتشبيه وتداعٍ، ولم يكن لدى الإنسانية في حالتها البدائية ما هو أيسر وأكثر عفوية من التشبيه والمقارنة المباشرة، فالإنسان القديم كان سريع التصديق للأمور، فلم يكن يحتاج إلى الحجج والبراهين العقلية، والشكل التصوري المجازي للوعي البشري سابق على الشكل المنطقي، ففي تلك المرحلة كان الإنسان مجرد كائن بيولوجي، كان يتصرف تبعًا لباعث مباشر أو نزوع عفوي، ففي لحظة تماسه مع الشيء تظهر صورة الشيء نفسه متحدة بصورة الفعل التي هي جسد للفكرة، دون أن يكون هناك تجريد أو فصل بين الشيء وصورته. فكيف ظهرت الصورة إذاً بوصفها شكلاً وبنية وعي فيما بعد..؟ ؟ وكيف ظهر الشكل المادي للصورة الشعرية.. أي كيف

انتقل الإنسان من الفعل إلى الكلمة..؟ ؟

بنية الصورة

يحاول المؤلف أن يجيب عن هذين السؤالين في الباب الأول من الكتاب، فيرى أن بنية المجتمع هي التي تحدد تصوره الفني، وبنية الصورة لديه، فالإنسان القديم لم يكن يفهم إلا علاقات القربى البدائية والأكثر صلة به، إنه يفسر الكون من خلال علاقات القربى التي كانت أكثر إقناعًا له، فالسماء والهواء والأرض والبحر لم تكن في نظره أكثر من مشاعة قبلية ضخمة تسكنها كائنات بشرية تربطها علاقات قربى متعددة، فالوعي القديم كان يقوم بإسقاط ضمني للعلاقات الاجتماعية على الطبيعة.

مرحلة عبادة الفتش (الصنم)

المرحلة الأولى في حياة الإنسان كانت مرحلة صيد وجمع الثمار، فلم يكن الإنسان ينتج شيئًا؛ بل يكتفي بما هو جاهز في الطبيعة، ومنذ أن بدأ يجمع المؤونة ويدخرها، ابتدأ نشاط وعيه، فتعامل أول الأمر مع المظهر الخارجي للأشياء، فالشجرة والنبع والأشياء كلها هي بالنسبة له ضارة أو نافعة دون أن يدرك صفاتها الموضوعية، فهي قوى ذات تأثير عليه أكثر مما هي حقائق موضوعية، ومن هنا كانت طبيعتها السحرية، وانتفاء جوهرها المستقل، فكل شيء عند البدائي هو صورة أنموذجية يتكون من جسم مادي، ومن مغزى كلي يختفي وراء حادثة. وهذا المغزى هو المضمون الروحي الاجتماعي له، وقد عرف الإنسان هذه الظاهرة التي سميت (الفتشم) أي تقديس الكائنات المادية لا من حيث مادتها دائمًا، بل من حيث ما تحمل من قوى غيبية أو معانٍ سحرية، والعلاقة بين الشكل والمضمون في كل شيء هي علاقة ذات الإنسان بالطبيعة في وعيها الاجتماعي البدائي، والفرد البدائي ليس شخصًا مستقلاً، إنه جزء من كل من الأفراد تجمعهم روابط الدم، وليس لأي منهم مضمون خاص، وإنما يتجسد في الكل مضمون اجتماعي، والإنسان كما يقول لوسيف: لا يجد في أي شيء ما هو ثابت ومحدد. إذ يمكن أن يتحول كل كائن إلى شيء آخر أو يستعير صفات شيء آخر، وبفضل انعدام شكل الفرد وغياب حدوده ضمن الجماعة البدائية؛ فإننا ندهش لاتسام الإبداعات الفنية البدائية بسيولة الخيالات الحرة والتشكيلات العجيبة المغرقة في التشوه، والتداعيات البالغة الجرأة، والجمع بين ما هو تافه وجليل معًا، مما لا يحلم به أكثر المبدعين تطرفًا في عصرنا، فالإنسان البدائي يحس بأنه عالم صغير معادل للعالم الأكبر، وكأن فنه هو الخطوة الأولى لإدراك العالم إدراكًا روحيًا، وستظل حكاياته وأساطيره البديعة وخرافاته آثارًا خالدة وفريدة تشهد على ذلك العصر، وتبرز توحد الإنسان مع الطبيعة، وحدة تتجلى فيها البساطة والسعادة والبراءة، وهي مرحلة أعظم روعة من المراحل اللاحقة للفن الأكثر عقلانية إن هذه الصلة السحرية بين الأنا والعالم في وعي الإنسان البدائي وفنه هي تعبير عن حلم الإنسان وهدفه في فرض ذاته على الكون، حيث نجد هذه السيطرة تتحقق الآن بصورة أوضح.

مرحلة حيوية الطبيعة

في المرحلة التالية انتقل الإنسان من جمع الثمار الجاهزة إلى مرحلة إنتاج أشياء، ويعدّ هذا الانتقال منعطفًا عظيمًا، إذ لم يمارس الإنسان إنسانيته إلا منذ اللحظة التي مارس فيها الإنتاج أو الإنتاج الذي يعدّ عملاً بالمعنى الدقيق، وفي مرحلة الإنتاج تشكل وعي الإنسان بعد أن كان سلوكه غريزيًا في المرحلة الفتشية. أو كانت ردود فعل آنية خارجية كمطاردة وحش خطير أو السعي لإسكات جوعه، وتطورت بنية تصوره منذ أن بدأ الإنسان يصنع الأشياء إذ أصبح لفكره غاية وهدفًا، واكتسب الشيء آنذاك وجودًا فيزيائيًا وآخر عقليًا مجردًا. وأصبح للشكل أهمية من خلال العمل، فالفأس من حديد ولكن شكلها هو المهم، لأنه صمم ليكون لها هدف، وقد ساعد ابتكار الإنسان للأدوات على إنتاج مبدعات جديدة، وأفكار جديدة، فأصبحت تصوراته الروحية وأفكاره بمثابة وسيط بينه وبين العالم الخارجي، فالعالم المثالي الذي ابتدعه ليتوسط بينه وبين الطبيعة هو العمل، وقد انعكس فيه

الوعي أي الممارسة المادية الإنتاجية، وهي ممارسة إبداعية أضافها الإنسان إلى الوجود، لقد غدا الإنسان صانعًا، مبدعًا للطبيعة والعالم، وانفصلت المجردات والمفاهيم عن المادة، وعرف الإنسان التعقيم، لكن ظلت المثالية البدائية هي السائدة، وبدأت بذور انفصال الخيال عن الواقع، كتحول المفهوم المجرد إلى صورة خيالية للمعبود، أو إلى نوع من الآلهة والأبطال تخضع لهم جميع الظواهر.

وتتجلى طريقة التعقيم الفنية في أدب هذه المرحلة في عفاريت الأشياء، كحوريات الأشجار والأرواح التي تحمي الأسر والبيوت، والجن الذي يرافق البشر.

يقول لوسيف: [كان لكل امرأة كوكب خاص بها، حتى كان عدد الكواكب «يونونا» بعدد نساء روما، وكان لكل عاشق «زهراء» خاصة به بعدد مواعيد الغرام].

وهكذا؛ فإن العالم يتبدى في المرحلة الفتشية كاختمار فوضوي لأشياء وظواهر معدومة الحدود والتمايز، ثم أدى تطور المجتمع والاستقرار إلى تمايز الأفراد داخل الجماعة وتنظيمها من خلال وظائفهم الخاصة، وهذه النظرة الجديدة إلى العلاقة بين العام والخاص، وبين الكل والجزء تعد مهمة؛ لأن مشكلة التنميط والإفراد التي ستظهر فيما بعد تستمد جذورها من هذه المرحلة، إذا أخذ الفنان أو الأديب يجسد الأوضاع الفردية والطباع بأكبر قدر ممكن من التحديد معبرًا عن طبيعة العلاقات الاجتماعية الجديدة التي برز فيها الفرد داخل الجماعة.

٢ - التفكير التصويري بالكلمات

يتساءل المؤلف ما الذي فصل النشاط الروحي عن النشاط العقلي؟ وما الذي أدى إلى ولادة التفكير المجازي؟ ولماذا مازال إنسان القرن العشرين عصر العقل والعلم يقبل بالكلام المجازي الذي لا يليق تصديقه؟.

ومع ذلك؛ فإن الشعراء اليوم يمارسونه بتوسع وبمعنى آخر؛ هل المادة والفعل هما أساس الوجود أم الفكر هو الأساس؟. يجيب المؤلف بأن التناقض بين المجتمع والطبيعة عبر الحياة يأخذ طابع تناقض بين الروح والمادة، وبين الوعي والوجود المادي. فالعمل الاجتماعي كان يبدو للناس قيمة أخلاقية أسمى أو قيمة روحية هي فوق العمل ذاته. فالمرأة الأم مثلاً تجسد أول الأمر العلاقة الاجتماعية أي علاقة الدم والقرابة وصلة الرحم، فهي رابطة الأمومة بين الجماعة.

وهكذا؛ فإن اللذة والحب وولادة الجنس البشري هي الشكل الأول شبه الطبيعي في أشكال النشاط الذي يتطور إلى عمل.

ففي البداية كان للعمل نفسه ولصانعه صفة شبه طبيعية، فكان يرمز له بالثور المقدس أو الحيوانات المقدسة الأخرى كالأشكال التي تمثل الإله رع المصري والثور أبيس المقدس، فالميثولوجيا البدائية لا تميز بالقدر الكافي بين الطبيعة والمجتمع، وفي المرحلة الثانية يتجسد العمل في البطل المعلم الذي يبدع السماء والأرض حسب مخططه، وحين يكمل عمله يرحل إلى أعماق الأرض أو السماء، حيث يتحول إلى نجم أو يندرج في المحيط اللامتناهي.

فالفعل إذًا هو بداية الوجود، ويبدو جوهر الفعل البشري في إدخال النظام والغائية والجمال والانسجام إلى فوضى الطبيعة، وغائيته هي استمرار لغائية الطبيعة، ومن هنا نبعت شتى الصيغ الفلسفية المثالية في تفسير الكون [المدرسة الفيثاغورية، الأفلاطونية، الانسجام الأزلي عند ليبنتر، الماهية، الذات عند هيجل] فمقولة الجمال والجميل قائمة في جوهر العمل البشري الذي تنطوي طبيعته على مبدأ جمالي، وبهذا نعلل سبب إعجابنا بالآثار الحضارية والفنية للشعوب البدائية؛ لأنها تحمل في طبيعتها صفة جمالية.

وإن النشاط الجمالي يتحوّل من كونه مظهرًا من مظاهر العمل الاجتماعي، ليصبح شكلاً للوعي الاجتماعي أي تفكيرًا فنيًا، ومن هنا اهتم أرسطو بالبحث عن الطريقة المثلى لصنع شيء جميل كالتراجيديا، وبالأدوات والطرق التي يجب استخدامها كالحبكة والاستعارة.

إن مقولة الأسلوب التي تعبر تمامًا عن طبيعة الفن التكوينية، وتقيم الصلة بين الفن وميدان الإنتاج المادي، تراجعت لتحل محلها مقولة المنهج بوصفه مبدأ رؤية العالم، وهي مقولة تعبر بالضبط عن الصلة بين الفن والعلم، فالفن

قوامه نشاط عملي وروحي، وأسلوبه يمثل «الممارسة» أما المنهج فجانبه الأقرب إلى الروحية، ومن هنا؛ فإن لكل فن من الفنون طابعه وطرائق دراسته، فالموسيقا حركة خالصة، وهي قريبة من الرياضيات.

أما الأدب فقد أصبح في معظمه معرفة أية مادة، وكان الجانبان المعرفي المضموني في الفن من قبل يشكلان مع الجانب التشكيلي وحدة تركيبية تسعى اليوم إلى الانفصال، وقد أصبح واضحًا أن مقولات الصورة الفنية والتصور الشعري والفكرة الفنية إنما ظهرت تحديداً في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر حين أصبح الفن في معظمه معرفة وانعكاسًا، وحلّت مشكلة الصورة الفنية محل مشكلة خلق مادة فنية أو بنية متميزة.

الفعل المركب

ولكي نفهم جيداً كيف يتولد الإبداع القولي علينا أن نعود إلى النشاط الفني عند الإنسان القديم، فقد كان الفن عنده محاكاة للعمل، ففي (بورينو) تقلد القبائل البدائية في رقصاتها عملية صيد الجاموس بهدف استدعاء الجواميس فالفن انبثق عن ممارسة العمل، لكنه ليس عملاً وإنما يقع موقعًا وسطًا بين المعرفة والنظرية والنشاط المادي العملي، فيرمز إلى تجسيد وحدتهما، أو بمعنى آخر هو تجسيد حرّ للعمل بتخليصه من ظروفه، وإبراز لقوة الإنسان التي تتحقق من خلال تغيير الطبيعة عن طريق العمل، تلك القدرة التي تتحقق في الفن تحققًا مثاليًا حراً، فجميع أشكال الانفعالات الجمالية بدءًا من التطهير الأرسطي وحتى المتعة الكائنية العارضة والإحساس بألوهية الكون عند غوته. تستمد جذورها في إحساس الإنسان بوحدته مع الإنسانية وبالمتعة المحصلة في تمثيل العمل من خلال الفن الذي يمنح مبدعه حرية لا تتوافر له من خلال قيود العمل وظروفه المتعددة، وقد رأى أحدهم في العمل المتحرر من دافع الحاجة المباشرة حقيقة أسمى للعمل البشري. إن الحركة الذاتية للعمل الإنساني هي لبّ التاريخ البشري، أي الحركة التي تتحقق متحررة من العوامل الخارجية، وهذا ما يتجلى في الفن على وجه التحديد، ففي الفن يغترف النشاط التشكيلي مضمونه من ذاته، وإن قدرة الإنسان الاجتماعي اللامتناهية على خلق الأشياء الواقعية والمتخيلة وعلى نظمها طبقًا لقوانين الجمال هو المضمون الذي يغترفه النشاط التشكيلي المحرض من ذات نفسه.

الإيقاع

يحتل العمل موقع الوسيط بين الإنسانية والطبيعية، وجوهره خلق الانسجام بينهما، فحين يصنع الإنسان شيئًا يهدف إلى بلوغ الوحدة بين المادة المبتدعة ومفهومها [المخطط الذي في ذهنه].

والوحدة هي نظام ومعيار وكون، وهي حركة انسجامية أي إيقاع، وحين يظهر الشكل المبدع المستخلص في عملية العمل يصبح الإيقاع عنصره الأول، فالأغاني المرافقة للعمل وحركات الجسم الإيقاعية والصرخات المنتظمة هي وسائل لتنظيم العمل تنظيمًا هادفًا، وحين ينفصل النشاط التشكيلي عن الممارسة المادية يكون الإيقاع ممثلاً أنموذجيًا لهذه الممارسة، فالزخارف الإيقاعية المفرطة في القدم تفوق بنيات بيتهوفن الرباعية، ذلك إن كل ارتقاء في الإيقاع الفني يحمل إلى رحمه بذور انحطاط ما كان من قبل شكلاً أساسيًا، فانتقال الإنسان من الإيقاع البدائي في الفن إلى الإيقاع الراقي المعقد كالخطوط المنمنمة أو إيقاع الكلمات في الشعر يفقده في الوقت ذاته القدرة على التعبير عن ذاته ببساطة وصدق، فالإيقاع هو قوة الشعر الأساسية، وهو أول ما يدخل في ميدان الفعل ويشعر أن شرارة النشاط التشكيلي قد انطلقت.

الكلمة

كانت الكلمة في المراحل الأولى تؤدي دورًا ضئيلاً، ولم يكن لها صفة المعنى، بقدر ما كانت تحمل طابع الإشارة الإيقاعية التي تتحقق بواسطة الصرخة، ذلك أن الكلمة لم تكن قد امتلكت بعد وسائلها الخاصة، وكان العنصر الوجداني فيها لا يزال أقوى من العنصر المضموني وكانت الفنون البديعية والأساليب الشعرية

كالجناس والقافية والتكرار هي الأصل الذي يسبق الفكرة الفنية أو الصورة الفنية أو الكل الشعري.

وتتجلى هذه المرحلة التاريخية من عملية الإبداع الذاتي في فولكلور الأطفال والألعاب التي تقوم على تكرارات لا متناهية، والكلمة هنا لا قيمة لها كمضمون بل هي شيء، ويظل ميدان التفكير هنا على سعته غير مشارك.

وعندما يصبح الأدب تفكيراً فنياً، يتم الانتقال التاريخي من الشعر إلى النثر، وفي ذلك يقول غوته: (لكي تكتب نثرًا يجب أن يكون عندك ما تقوله، أما من ليس عنده ما يقوله فيبقى له أن ينظم شعراً وقوافي، حيث تجر الكلمة وراءها كلمة أخرى، وفي المحصلة تخرج بشيء لا يعني شيئًا في جوهره، ولكن له شكلاً يبدو كما لو كان شيئًا ما..).

وبقوله أيضًا :(إن الإيقاع مغرٍ، ولذلك امتدحوا قصائد سخيفة تمامًا بفضل إيقاعها الناجح). ولكنه هو نفسه يقول أيضًا: (لا وجود لفكرة شعرية فنية حية دون إيقاع أو جرس، وإنها في غير ذلك كزهرة في طاقة ذابلة).

هذا التناقض الذي يميز الأدب، والقائم على الإيقاع والكلمة يستدل منه منطقياً على مجمل تناقضات تتراكب وتحدد حياة الأدب وتطوره، كالشكل والمضمون، واللاوعي والوعي والانفعالي والعقلاني والإلهام والصنعة والفكرة والصورة، وهذا التناقض يعد مميزاً لفن الأدب، فالانتقال من عقلانية عصر التنوير إلى العبادة الرومانسية للحدس إلى عملية الواقعية عند بلزاك لا وجود له في ميادين النشاط الإنسانية الأخرى؛ لأن الإنسانية أبدعت الأدب من أجل معالجة هذا التناقض من بين كثرة لا تحصى من التناقضات التي تعالجها ميادين العمل والوعي الأخرى، ولكن صلة الإيقاع بالكلمة ليست بهذه البساطة، فالتكرار المتولد من الإيقاع يجعل الوعي يتوقف في البداية عند الكلمات، ثم تفقد الكلمة معناها بالتكرار؛ لأنه يعطل الوعي ويهيمن الإيقاع ونمطية الحركة، ومن هنا يكمن مصدر كثير من المشكلات الجمالية مثل التقليد والتجديد، الاتكاء على الموروث الذي أبلاه الاستخدام، ففي الأغاني خطان يتقاسمهما المغنون الحركات والألحان من جهة، والكلمات من جهة أخرى، وهما يتعاقبان في الأغنية فيطغى جانب على الآخر، وفي هذا الطغيان تعطيل لأحدهما بالنسبة للمشاهد.

الحبكة ، الصورة

إن من يرجع إلى كتب الأغاني قبل الميلاد يذهل تمامًا أمام صدق التفاصيل في تصوير العمل والثياب والطبيعة ، والرسامون في القرون الوسطى يتفوقون على معاصرينا في دقة التفاصيل، فالكلمة وخط الرسم يتبعان واقعًا معينًا مرئيًا، غير أنهما لم يكتسبا بعد مصدر النشاط الداخلي أي خلق الكل الشعري. ومن هنا تنبع تلك الظاهرة التي كانت واسعة الانتشار في المراحل الأولى من التركيبة الشعرية، أي عندما يغني الناس كلمات لا يفهمونها إلا أن هذه الكلمات ليست عودة إلى الإيقاع وأداء دورها كمادة صوتية فحسب، إن معنى الكلمة لا يختفي بل يمتد إلى أكثر من دلالته المباشرة ويصبح حاملاً للمغزى الباطني، إنه هنا مصدر الصور - الرموز، فالكلمة الدقيقة التعبير تشير إلى تجربة مرتبطة بظاهر الحياة ومظهرها المعلن، أما الكلمة والصورة الرمز، فتشير إلى الجوهر، فهي أكبر مدلولاً من المعنى الذي تحمله، فالكلمة التلميحية تجعل المرء يحس مباشرة، وتصله بحركة الوجود وبالإنسانية والمجتمع، إلا أنها بغموضها وإبهامها تشل الإدارة البشرية، ومن هنا تفتح آفاقًا أمام الارتجال والإبداع الشخصي، ولكن يتهددها خطر فقدان المعيار الدقيق للأشياء، مثال ذلك تعبير فناني المدرسة الطبيعية أو الانطباعية كمارسيل بروست، وتصبح الكلمة التلميحية أداة لاستشفاف الحياة عبر الأدب، ومع الكلمة تنهض أمامنا مشكلة مضمونها الخاص، فالصورة الكلامية أي المجاز هي خلية القول الأدبي الفني المتكاملة الأولى والقادرة على الحياة والحركة باستقلال نسبي.

والصورة الكلامية تتحول فيها الاستعارة والتورية إلى حبكة أو قصة، والحبكة والمجاز هما محددات فن الأدب، فلتنظر إلى الطريقة التي تكونا بها.

لنتذكر أن الكلمة كانت في البداية على هامش الفعل التركيبي، ثم غدت تنوب عنه، ثم امتصت الفعل وابتلعته أخيرًا، ففي مجال القول الكلامي نقع على حوار لا شكل له، وسرد يتمثل بحبكة تمثل إيقاع المضمون ولها غائية داخلية وحركة نحو النهاية، فهي بنية محددة تمامًا، ولها غاياتها، وما يسميه أرسطو السبب الهادف هو الذي يحدد جوهر الحبكة. إن خرافة الثعلب والعنب لإيسوب مثلاً تمثل سردًا في مناسبة، وهو يقوم على أساس الملاحظة والخبرة المستقاة من الحدث، والحدث يتماسك ويكتسب شكلاً وكيانًا، تتحد فيه الخبرة والملاحظة الشخصية، ويصبح مصدرًا لاستمرار الحركة؛ لأن الفكرة تنبثق عنه، وتتحول الحبكة إلى صورة - تلميح كلامي - ومن خلال السرد يتكون الإيقاع الفكري، ويشكل المجاز والحبكة معًا وحدة يتنازعان إلى حد الانقطاع ثم يعودان إلى التداخل ليخصب كل منهما الآخر.

وإن التضاد بين المجاز والحبكة، بين الشعر الغنائي والملحمي هو التضاد بين أشكال مضمونية تعكس التناقض الأعمق بين تيار الحياة الجوهري وشكله الظاهري في مرحلة معينة، ويتجلى في التناقض بين إيقاع الوجود والكلمة، والمعاناة والوصف، بين أدب الأفكار وأدب الصور، وبين الواقعية والرومانسية، بين أدب الحقبة الأوربية والحقبة الشرقية فتتصف بتباعد وتشتت كبير من الأطراف المتضادة. مما أعاق أدب هذه الحقبة عن التطور ووسمه بالثبات. فالأدب العربي - الفارسي - يعد بمثابة أدب انتقالي من الحقبة الشرقية إلى الحقبة الغربية، ويتجلى فيه التناقض في التضاد المطلق بين الشعر، حيث يسيطر مبدأ المجاز البالغ حدّ الإرهاف والنثر الذي ليس له أهمية فنية كالشعر.

ومع ظهور المجتمع الطبقي يبدأ الوجود الحقيقي للفن والشعر وظهور الملكية الخاصة والدولة، فقد أصبح الفن يتوجه إلى داخل المجتمع ليوقظ في أعضائه لونًا من ألوان المعاناة والتصورات الاجتماعية بعد أن كان يتجه إلى خارج المجتمع إلى استعطاف آلهة الطبيعة لضمان وفرة المحصول أو التأثير في الوحوش.

ولم يكن هذا التغير ممكنًا إلا عند درجة معينة من درجات الإنتاج الاجتماعي، فحين يبدأ المجتمع يشعر بسلطانه على القوى الطبيعية تزول ضرورة التأثير الوهمي السحري، ويتحرر العمل والإنتاج من أن وجهة النظر التي يعتمدها الأدب في النظر إلى العالم هي نقطة وسطى بين جوهر الوجود وشكله الزمني لذا لاحظ أرسطو منذ بدايات الأدب أن التاريخ يدوّن قبل كل شيء حقائق متعلقة ببيئة بعينها في زمن بعينه، أما الشعر فمتصل بالحركة العميقة لتلك البيئة، وهو حر في طريقة التعامل مع الوقائع، من حيث حقيقتها وتفاصيلها ومشاكلتها للواقع، ومع ذلك فإن الشكل التاريخي المعين ليس شيئًا عديم الأهمية بالنسبة للشعر. ولذا؛ فإن بلزاك على خلاف أرسطو يرفع شعار تأريخ الأدب، فالأديب عنده مؤرخ المجتمع المعاصر وأمين سره.

ومع تطور الأدب، تحل مقولات (المضمون المميز) محلّ المقولات التي تنتمي إلى ميدان (الشكل المضموني)، ويظهر مستوى المضمون المميز كتناقض بين الثابت، أي المجتمع أو المتحول، أي الإنسان.

وهذا يوضح لنا لما أوجد اليونانيون فكرة الانسجام «الوحدة ، الجميل» بوصفها ماهية جميع الأشياء، وسبب ذلك كون جريان العمل طبقًا لقوانين الجمال هو السمة الرئيسة للعمل الاجتماعي، وقد تكونت في اليونان القديمة ظروف اتسق فيها الجوهر الجمالي العام للعمل الاجتماعي اتساقًا منسجمًا مع شكله التاريخي الملموس والمميز، ولكن هذا الاتساق كان وهميًا لأنه كان يقوم في أساسه على عمل العبيد، لكن الأدب اليوناني فتح الطريق أمام تطور الأدب الأوربي.

٢- تطور الوعي الفني في الأدب

في القسم الثاني من الكتاب يعقد المؤلف تسعة فصول، يتناول فيها تطور الوعي الفني في الأدب: إن انطلاقة الأنا تمثل انقلابًا جذريًا انتقل بالإبداع الأدبي في اليونان الكلاسيكية إلى روما.

فبدءًا من هوميروس وحتى نهاية القرن الخامس

للميلاد، كان النشاط الفني مسألة تخص الدولة، وكانت الذات في هذا النشاط هي دولة المدينة، ذلك الكل الاجتماعي المحدود والمفهوم حسيّاً، والمنسجم مع تطور الفرد، فكان الكورس في التراجيديا يتغنى بالأنا، وأما في الشعر الغنائى فكان الكورس يتغنى بنحن، وحين انفصلت الدولة في روما عن الأفراد بدأ اغتراب الطرفين، وأصبح الفن أمراً خاصاً يدعمه رجال الدولة، إن حياة أثينا هي الديمقراطية، وحياة روما هي القضية الاجتماعية منفصلة عن القضايا والمصالح الخاصة التي شكلت بالتالي مجالاً مستقلاً، فالفرد خلية متميزة في المجتمع اليوناني كان يحس أنه يعيش في دولة المدينة وقوامها سبعة عشر ألف متفرج، كأنه يعيش في مسرح ويشهد تراجيديا فهو جزء من كل، يشعر أنه من لحم ودم ويكابد مع الجماعة، أما الفرد في روما فاجتماعيته تنظمها معايير عامة تستدعي رقابة ذاتية الوعي، وهذا الوعي يتجلى في أسلوب شيشرون. مثلاً ذلك الأسلوب المراوغ الحافل بالاحترازات وجمل الشرط وهو يعكس منظومة بالغة التعقيد في العلاقات التي تقوم على الحذر وحساب كل خطوة، فالقدرة على المراوغة في التعبير تجلت في أقصى حدودها باللغة اللاتينية. وبعد ألفي سنة نصطدم بما يماثل هذا الأسلوب عند تولستوي، إذ تبدو الروح وكأنها تصبو إلى الحقيقة عبر شبكة الاغتراب وحجابها الكثيف، وقد غدت اللاتينية وليس اليونانية لغة عالمية بسبب طبيعتها الداخلية، ففي بنيتها نمط علاقات الاغتراب بالنسبة للمجتمع الطبقي، وصراع الفرد مع الكل مما هو أكثر ملاءمة لطبيعة الوعي في عصر الإقطاع والرأسمالية.

في قصيدة هوراس (التمثال) لا تتجلى روح الجماعة مثلما تجلت في كتابات الأضرحة اليونانية سابقًا «إننا هنا نرقد كومة عظام، تلبية لوصاياهم...»

أما هوراس فيقول:

أنا شيَّدتُ تمثالاً
لا المطر الكاسح
ولا الريح العنيفة العصف
بقادرة على تحطيمه أبد الدهر

والفكرة الأساسية في قصيدته أن الإنسان الفاني، قادر على أن يكسب لنفسه الخلود. وكان يفتخر بإبداعه الفني وذكر ميزاته وتفرده، فقصيدة (التمثال) نظرة من الحاضر إلى الأمام، هي حديث مع الحفدة، وتطلع الشاعر هو تطلع إلى التقدم والتجديد الذي يضيفه الفرد إلى منجزات الجماعة، إن حديثه حديث شاعر كون نفسه بالإرادة والعمل، فخرج من دائرة الريف إلى المدينة الأبدية، وإذا كان هوميروس يستنجد بربة الشعر لتمنحه الموروث، فإن هوراس يستقي إلهامه من ذاته:

فلتضفري ، أيتها العطوف
خصلات شعري بالغار
وبفيض من داخلي

في قصيدة (التمثال) رفع هوراس من شأن التأمل الحر والفكرة الفنية مبتعداً عن الاستعارة التي وضعها في المحل الثاني، وتبدو الصورة الفنية عنده جسراً بين الروح والطبيعة، وبين الوعي والوجود. فالتأملية التحليلية لم تنقطع بعد هنا عن الحسية. إن حركة الشعر باتجاه نوعية جديدة أكثر غنى وتعقيداً تعني أنه يتجه نحو الكمال. لقد أكد هوراس كروماني تأكيد حقّ عمل الشاعر في الخلود، فتمثاله تأكيد ذاتي محض، أما بوشكين الشاعر الحديث فلم يعن بإثبات حق الشاعر في الخلود؛ بل وجه إبداعه في حظ الشاعر - الشعب - الدولة:

شيدت لنفسي تمثالاً لم تصنعه يد
لن تطمس طريق الشعب إليه
ولطالما سأبقى غالباً على الشعب
لأنني كنت أستنهض مشاعره الطيبة بقيثارتي
ولأنني في زمني الظالم كنت أمجد الحرية
وأدعو للرأفة بالساقطين

فبوشكين أكبر مواطن في دولة، إنه صدى الشعب؛ لأن الشعر في العصر الحديث يختلط بالحياة الشعبية مباشرة وليس عبر تنظيم الدولة السياسي.

٢- الصورة في الأدب الأوربي

كان الشيء الوحيد الذي أخذه العصر الوسيط عن العالم القديم هو المسيحية، وعدداً من المدن المدمرة التي فقدت حضارتها، فالمسيحية التي ظهرت كنفي للتجسيم القديم وللنشاط الحسي العملي وللروح «الوثنية» كانت تمثل تناقضاً حاسماً مع الثقافة الروحية للشعوب الجديدة.

إن التضاد بين الكتابات المسيحية والفولكلور الجرماني في القرن التاسع مثلاً، يمكن قياسه بمسافة زمنية طولها ألف وخمس مئة سنة، ومن هنا تتضح قوة الطرد والجذب المتبادلتين في آن معاً بين فولكلور أصيل لهذه الشعوب الجيدة، ولكن سرعان ما دفع به إلى مرتبة أدنى أمام موروث أدنى عظيم يمثل في ذاته تقاليد ألف سنة في عمر الحضارة القديمة، ففي أدب الرؤى تجلّى صوغ التصورات الوثنية بروح المسيحية، و«الرؤيا» تمثل مشاهد من العالم الآخر، ورحلات الآلام عبر الروح وهي ليست حادثة واقعية قابلة لفحص عقلاني، ولا يشترط فيها مشاكلة الواقع، إنها تعبير عن نقاء نشاط الوعي الفردي والعالم الذي تبدى للبصيرة الداخلية، فكأنها تعبير مجازي عن قوة الخيال الفردي ومدى قدرته، فنحن أمام سرد يصدر عن إنسان «محسوس» وهو سرد رفيع المستوى، غير أنه لا يمكن الناس من القيام به، هو فعل تمارسه القوى الجوهرية على الإنسان الجاهل المستذل المستضعف.

وبما أنه لا يكون طرفاً فاعلاً بل مدركاً؛ فإن المعاناة الجمالية تنتقل فيه إلى مجال التأمل، ومشاركة الناس تجري عبر الوعي الذي هو في الواقع كان الطريق إلى أشكال الإدراك الجمالي للفردية المعاصرة.

إن قوى النشاط الجمالي صودرت من الجماعة البشرية، وأصبح الراوي هو المختزن لطاقتها الجمالية، ومن هنا ينفتح الطريق أمام الاحتراف المعاصر للفن، وإلى النظريات الرومانسية حول العبقري المتفرد، والجمهور.

إن «أنا» الفنان والعالم المنفصلين يغدوان كأنهما متكافئان، والخيال لا يرتبط بمقولة الجميل بل السامي، من إحساس الشخصية المرضي بحدودها وطموحها الحار لتخطي حدودها ومضاهاة العالم، وبهذا تميز الأدب الأوربي الجديد بالتوق والحنين إلى المثل السامية، وقدرة الخيال وجرأته.

في الرؤيا ينهار نسق السرد أي الحبكة، وكأننا أمام ارتجال حر، بسبب اعتماد الكلمة التلميحية في القص، فبنيتها تحيل المقام الأول فيها إلى مبدأ روحي يتجاوز الصورة ويحاول طمسها، وقد أثرت الرؤية في أدب القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، فلحظه في الكوميديا الإلهية وفاوست، ففي مثل هذه الآثار يتمزق الواقع وتأبى مادة الأثر الأدبي الخضوع للفكر السليم، وتبرز آلام الروح والأهواء وهي تجتاز محنتها في مراحل متعددة، وإن رؤية العالم المميزة تصبح هي المقولة الأساسية للأدب، ويتجلى الوعي في الأدب على صورة أفكار مطلقة وأيديولوجيا، وينضج أدب المستقبل في طريقين: فولكلور، الشعوب البربرية الذي يمثل نشاطاً روحياً عملياً، وتركيب المسيحية الروحي الذي يميل إلى التحول إلى تفكير سيتحقق في سكولائية القرون الوسطى، ويتجلى الأدب الملحمي البطولي في نشيد رولان (السيد) كبطل حرّ مندمج بالشعب في حين تفصل المسيحية بين الفرد والمجتمع، فتحط من شأن الفرد وترفع المبدأ الاجتماعي إلى قمة يتعذر بلوغها، والبطل في هذا الأدب ممزق، فلا يبقى لديه إلا الوعي والتفكير والتأمل، ومن هنا ينبع تمجيد العقل في الأدب الأوربي الجديد، ويصبح منبع الوحدة في الأثر الأدبي هو الفكرة الناظمة في حين تتفتت الحبكة إلى لوحات ومناظر مشتتة.

٣- الصورة في أدب المسيحية

إن الجديد الذي قدمته المسيحية عن الإله، أنه يتميز باللا محدودية واللاقومية، ولم يكن يتمتع بهذه اللامحدودية واللانهائية في روما إلا العبد، إذ لم يكن يملك شيئاً، ولم يكن داخلاً في جسم المجتمع، هذا ما انتهى إليه أسلوب الإنتاج القديم الذي حرم نفسه إمكان التطور بسبب احتقاره للعمل، وقد نسفت المسيحية هذا التحديد ورأت في

الإنسان كونًا صغيرًا، هو وحده النهائي من الناحية الجسدية، واللانهائي بوصفه مبدعًا واعيًا.

٤ - الصورة في أدب القرون الوسطى

في القرون الوسطى، كان العمل الزراعي هو العمل النمطي، فكان ثمة قصور قائم في التفكير والفن وبنية الصورة، ونجد نمطين من المؤلفات في القرون الوسطى، الرؤى الغيبية والمنحولات وصولاً إلى دانتي، والحوليات التاريخية التي كانت وقفًا على الكنسيين وليست في متناول الشعب غير أن النمطين كانا يتفاعلان ويتداخلان، وكانت الصورة تحمل طابعًا تقليديًا، والقصة الشعرية ليست أكثر من توليف مفارقات أما الفكرة الفنية، فتنطلق من تناقض صارخ في التعبير عن العلاقات بين الإنسان والعالم، وبين الإنسان ونفسه، وإذا كان الحكم العقلي هو الذي ميّز الوعي القديم، فالمسيحية اعتمدت منطق المتناقض في الأساس الأرضي ذاته، حيث فصلت بين الظاهر والجوهر في الحياة وعند الإنسان، وقد كان تأثيرها في الأدب الحديث من حيث إلحاحها على هذا التناقض، ودعوتها للمثل الأعلى والطموح.

٥ - الصورة في أدب عصر النهضة

لقد فتتت القرون الوسطى الإنسان فاستولت المسيحية على روحه، والمشاعة أو نظام القنانة على جسده، وها هو ذا الآن عصر النهضة بين يدي نفسه لأول مرة، لقد أصبح الإنسان مقياسًا لجميع الأشياء ، فالنزعة الإنسانية هي الجوهر الأعمق لفن العصر الحديث.

ولم يكن الإنسان في اليونان في القرن الخامس الميلادي كائنًا اجتماعيًا إلا بوصفه إنسانًا في مدينة الدولة، أما خارج المدينة فكان يتحول إلي حيوان نفعي معادٍ للمجتمع، على نحو ما يظهر في عهود روما الأخيرة، أما إنسان النهضة فهو إنسان اجتماعي غير منعزل في المجتمع البرجوازي المقبل، إنه البشرية في شمولها يتجلى جوهرها فيه تجلياً فردياً، لذا كان القانون الوحيد في ديرتيلم «افعل ما تشاء» في كتاب رابليه، لا يعني الفوضى؛ بل المعيارية الاجتماعية العاقلة والسامية، لقد وأصبح الإنسان يحمل في داخله روحًا اجتماعية حققت رغباته، وأصبح يطمح إلى تطوير إمكاناته دون حدود، والفكرة الفنية في أدبنا الحديث تقوم على تصور فردي للعالم، ومسيرة الإنسان عبر العالم تدين بظهورها إلى عصر النهضة، وأول نموذج لذلك الكوميديا الإلهية لدانتي.

وتعود إلى زمن النهضة أيضًا بداية فردنة الأفكار والحقائق؛ وأحادية الجانب في الفكر والشخصيات.

٦ - الكلاسية.. في القرن السابع عشر

إن القرن السابع عشر هو الذي جاء بحماس النزعتين الوطنية والاجتماعية، وأعطى المقام الأول للعالم الخارجي الموضوعي بعد أن كانت الفردية الغالبة في عصر النهضة، فالإنسان ليس مقياس الأشياء، ومن هنا يتقدم مبدأ المعقولية والانسجام ويعطى المقام الأول في الأدب لمحاكاة الطبيعة، ولأول مرة يُلاحظ الصدام واقعياً بين الشخصية والمجتمع بوصفهما متساويين في المضمون الروحي والحسي والأرضي، وهذا ما شكل أرضية التراجيديا والنمط التراجيدي للفكرة الفنية وللصورة، ويتبدل المجتمع الجديد بتراجيديا الكلاسية الفرنسية، لذلك كان في البداية ثمة توازن فعلي للمتطلبات المتبادلة بين الشخصية والمجتمع، بينما يبدو التعقل والواجب الاجتماعي عند (راسين) بوصفهما اغترابًا لا إنسانياً.

إن نزعته إنسانية تدعو إلى الشفقة والرأفة بالإنسان الذي أصبح صغيراً. وتختلف تراجيدياالأدب الحديث عن التراجيديا اليونانية في أن البطل يموت في تراجيديا العصر الحديث، وفكرته وصورته تعيشان في المستقبل، إنه خالد في روح المجتمع، إن تراجيديا العصر الحديث منفتحة على الحياة والواقع، وهي تواصل الحياة في الوعي.

وعندما برزت الدولة، دولة قومية شاملة كان الجميع

مستعدين للتضحية بجزء من حريتهم الفردية شريطة أن يجدوا نقطة استناد لهم في العالم. إن التضحية المسيحية ذات المضمون الغيبي أنعمت الآن بمضمون دنيوي ذي طابع اجتماعي مباشر.

٧- عصر التنوير

طمح القرن الثامن عشر إلى إقرار شكل اجتماعي أيديولوجي يتناسب كل التناسب مع البنية الرأسمالية للإنتاج الاجتماعي. لقد تجاسر التاريخ عند مشارف القرن الثامن عشر على إعادة تشكيل العالم كله على أساس مبدأ واحد من القاع إلى القمة، وأخذت تتأكد بين الناس علاقاتهم الاجتماعية بديلاً عن العلاقات العشائرية الأبوية، ولم يعد استيعاب تلك العلاقات ممكنًا في الوعي إلا في شكل معرفي متحرر من الحسية وذي طابع كلي، وقد تمثل ذلك في الفكرة المجردة التي يمكن التعبير بواسطتها عن كل شيء، فقامت السوق الرأسمالية العالمية والمراكز القومية بجهد توحيدي في المجال الروحي عن طريق العقل الذي انصهرت فيه جميع أشكال الوعي الخاصة بما في ذلك التفكير الفني.

والتفكير المجرد هو إحدى المعجزات به نسيطر على الأشياء ونفهمها وإن كنا لا نملكها، إن وهم العقل عن نفسه وعن سمو جمال الحياة وحريتها في مجال الوعي، هو مرآة وهم المجتمع البرجوازي بأنه أصيل وأبدي، وأن للروح أسبقية على المادة، وبهذا لم يبق في الإنسانية سيد آخر غير المجتمع دون الإبقاء على سيد آخر غير التفكير المجرد «العقل».

٨- الصورة الفنية ما بين القرن الثامن عشر والتاسع عشر (الرومانسية)

هذه المرحلة متعددة المستويات، شكلت ملامحها الثورة الفرنسية والانقلاب الصناعي الذي وضع الآلة محل الإنسان، وثقلت وطأة الاغتراب الرأسمالي على الإنسان. فبعد عصر التفكير أدركت الإنسانية أن الفكر ليس كل شيء، وأن الفعل أعلى منه، يقول غوته: «الفعل بداية الوجود» في حين طُرِحَتْ المسألة في القرنين السابقين بلسان ديكارت: أنا أفكر فأنا موجود. وقد تبدى هذا التغيير في أدب ألمانيا الكلاسيكي وموسيقا بيتهوفن ولدينا في هذه المرحلة نمطان في الأدب والفن: الفن التركيبي الألماني [غوته – شيلر – موزارت...] من جهة. والرومانسية من جهة أخرى، وكان الأدب في روسيا المنبر الوحيد الذي توجهت إليه جميع القوى الاجتماعية بحكم حرمانها من الحرية السياسية وقد زحزحت الثورة الفرنسية طبقات اجتماعية مضى على ترسبها ألف عام.

لم تكتف الرومانسية بالدفاع عن ضرورة الفن للحياة بعد أن وقع العقل بيد هيجل حكم الموت على الفن؛ بل قامت باستخلاص شكله ومضمونه، فقد أصبح مضمون الفن تعبيراً عن تمرد الإنسان الاجتماعي ضد الاغتراب الملازم للمجتمع البرجوازي، وضد تحول الإنسان، العظيم برسالته، إلى فرد جزئي، فحياة الإنسان لها مغزى أكثر سمواً من أن يكون آلة للعمل أو كيساً للنقود، إنه مبدع ذو نشاط ذاتي أكثر سمواً وحرية من أن يكون عبداً للإنتاج، والفن هو الصورة الأصلية الإبداعية للعمل، والفنان هو صورة للإنسان المنسجم المتكامل الذي لا يحده حد، ذلك هو مغزى هرب الرومانسيين من الواقع عبر الماضي والمستقبل، إلى عالم الحلم والمثل، ومع أن الرومانسية تشعبت تشعباً شديداً من حيث موقفها من التقدم ، فإنها ظلت ظاهرة جمالية واحدة.

وقد نادت الرومانسية بالفعل والتغيير مقابل تقديس الفكر في عصر التنوير، وبينت للبشرية أن النشاط الحسي العملي يمثل إبداعًا أسمى وأصدق من التفكير المجرد الذي كان بديلاً عن العالم الواقعي، فالفن الرومانسي يتحقق في معظمه لا كتصوير ومعرفة بل كتعبير. لذا؛ فإن الشعر هو النوع الأدبي المفضل لدى الرومانسية.

إن التعبير عن مكابدة الحرية والشعور بها والثورة على سلطة العقل والحكم هي أبرز ما يميز الرومانسية،

وأبرز فن يعكس هذه الحرية الموسيقا. قال نيتشه: إن الرومانسية لم تتحقق إلا في الموسيقا في حين ظلت في الأدب وعداً عظيماً لم يُنجز، وكان الرومانسيون أول من أحس بالإيقاع في البيت السحري بوصفه نبض الروح الداخلية. فكانت موسيقا الثورة هي التي يكتب بوحيها الرومانسيون. وقد ساعدت الرومانسية الإنسان على أن يلمس طبيعته الإنسانية وصلة الكونية بالبشر على أنه مواطن عالمي منصت لأصوات جميع الشعوب وفي كل الأزمنة، فهو يحمل شعار الإنسانية غير معتمد على أي مجتمع قائم. كما هي الروح الأبدية للفكرة الحرة عند بايرون، ففي الشاعر صوت الناس كلهم، وهو الناطق بلسانهم. وقد أعادت الرومانسية للأدب الإحساس بوحدة العالم والإنسان، لا من الناحية الموضوعية؛ بل من حيث المزاج الغنائي المتوحد والاندفاع العاطفي، فالرومانسي لا ينقاد للعقل ولا للمجرد، إنه يمارس الفعل مجسداً نضال الإنسان وطموحه وموته في سبيل مبدئه، ذلك أن مملكة العقل أقيمت على الأرض في شكل دولة بورجوازية، ورومانسية الشاعر لون من ألوان الوعي الأكثر تقدمية من الوجهة التاريخية، مقابل التجسيد الزائف لدولة العقل، تلك هي نظرية الحدس الرومانسية التي تثق بالشعور وتمليه على تعميم المنطق، والطبيعة وحدها لها منطقها وحركتها الذاتية، والفنان وهب القدرة التي تمتلكها الطبيعة، فهو مبدع كالطبيعة الحية، عاجز عن تفسير ما يبدعه، إنها عملية ولادة طبيعية عصية على التفسير متعددة المعاني فوراء النص ثمة ما يمكن أن يحس ويقرأ أكثر مما تحمله كلماته، بعيداً عن دقة التعبير في عصر التنوير، وفي هذا التجلّي تندغم ثلاث ذوات للرؤية: الشعب، المجتمع، الفرد. يقول شيلي : «إن الأعمال الفنية هي مرايا ظلال يلقيها المستقبل على الحاضر». فالأدب يتفرد بالمعاصرة أي إلقاء الضوء على حركته التاريخية المستقبلية.

٩ - الواقعية في القرن التاسع عشر

في الواقعية بالذات يقوم الفن بأعظم ألوان الفتنة والسحر، إذ بمساعدة النص يصبح «ما وراء النص» ملموساً «ضحك يراه العالم ودموع لا يبصرها ولا يراها» إنه إيهام كامل بالواقع من أجل انتزاعه من ذلك الواقع، وإذا كانت خيالية الحياة في مجتمع الاغتراب البرجوازي تتبدى صراحة في الرومانسية؛ فإنها الآن تختفي وراء تصوير أكثر الأشياء والحوادث المنطقية العادية، فيتقبلها القارئ دون أن يفهم من أين يتسرب إليه الإحساس بحضورها، فهي لا تظهر في النص، أي في الصور وإنما في ترتيب هذه الصور، ولم يعد الجمالي يتجلى في إبداع حياة جميلة، وإنما بإضفاء الطابع الشاعري على الحياة والمجتمع، وقد تحول الإنسان إلى فرد منعزل، فانفصلت المصلحة الاجتماعية ومنطقها كلياً عن منطق الفرد ومصلحته، على أن رسالة الفن تكمن في أنه يعيد للإنسان إحساسه بطبيعته الاجتماعية..

إن الواقعية تنبثق من الرومانسية، لكنها تنتقم من أمها وتجلدها لاستهتارها بالواقع الموضوعي، وقد نقع في خطأ فيما إذا تصورنا أن الكاتب الواقعي ينقل ما نراه حولنا، فنحن لانرى ، ولكننا نقدر على الرؤية من خلال العمل الأدبي، فالإشراق عند الواقعي أكثر توتراً منه عند غير الواقعي.

إن حركة العمل الأدبي الداخلية في الواقعية، هي قبل كل شيء تضخيم للمادة الحياتية، وليست تطوراً ذاتياً للفكرة الفنية المبتكرة، وكان (بلزاك) يشتغل بعدة أعمال في وقت واحد دون أن يرسم مسبقاً نهاية مسيرة كل عمل، ولا يقدم تصميماً لعمله الأدبي، ومن هنا ينشأ إمكان الكاتب في معايشة الظروف وإذابة ذاته من خلال البطل والتخلي عن منطقه وشخصه مسلماً الكتابة إلى نوع من العفوية.

وقد اعتمدت واقعية القرن التاسع عشر على البيئة والأعراف التي غدت الشخصيات مجرد وظائف لها، فكل شخصية من شخصيات بلزاك عبارة عن ظرف أو حالة مخصوصة، وفي ذلك مجازفة للموضوعية والعلمية أسلم كتّاب الواقعية ولا سيما بلزاك إلى كثير من التناقض في الأحكام، بسبب اقتحامهم آفاقاً اجتماعية لم يتعمقوها، فبدت واقعيتهم تصوراً قاصراً يرى الفن شكلاً مميزاً.

الفتنة ووقعة الجمل

لسيف بن عمر الضبي

هزاع بن عيد الشمري
الرياض

الضبي، سيف بن عمر/الفتنة ووقعة الجمل، جمع مادته وصنفها أحمد راتب عرموش .- ط٦.- بيروت، دار النفائس، ١٤٠٦هـ، ٢٠٧ ص.

هذا هو عنوان كتاب جمع مادته وصنفها أحمد راتب عرموش، عن رواية الإخباري «سيف ابن عمر الضبي الأسدي المتوفى سنة ٢٠٠هـ» وهو يخص مقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان على يدي السبئية، وكذلك وقعة الجمل بين أم المؤمنين عائشة ، وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب .

يقع الكتاب في ٢٠٧ صفحات مع فهارسه وصدرت طبعته الأولى سنة ١٣٩١هـ والسادسة سنة ١٤٠٦هـ عن دار النفائس ببيروت، وقد استهل المصنف الكتاب بمقدمة من ضمنها أورد - حسب رأيه - الأسباب التي أخذها الناس على عثمان وطريقة حكمه، والأسباب التي فرضتها ظروف الدولة وطبيعة التحول الاجتماعي في ذلك العصر، ونشاط الفئات السرية المعادية لعثمان، ثم قام بترجمة سيف بن عمر. وفصلاً حول المصادر وطريقة البحث .

أما متن الكتاب حسب رواية سيف فقد تطرق فيه إلى ثلاثة مواضيع هي :

أ - الفتنة أي مقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه .

ب - خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

جـ - وقعة الجمل .

ففي المقدمة قال المصنف عن هذا الكتاب:

«ليس هذا كتابًا جديدًا، يضاف إلى الكتب الكثيرة التي تناولت موضوع مقتل ثالث الخلفاء الراشدين، عثمان ابن عفان رضي الله عنه، وما تلاه من أحداث جسام. إنما هو كتاب قديم اعتمده الطبري وأضرابه لتأريخ حوادث صدر الإسلام. شاءت الظروف أن تفقد مخطوطاته، ولا يتوفر أصله، فرأيت أن أجمعه من كتب التاريخ المختلفة، ليكون في متناول جميع المهتمين بموضوعه.

ونظرًا لأهمية البحث، لابد من مقدمة جهدت أن أجمل فيها الآراء التي تبين لي صوابها من مختلف الدراسات والكتب التي تمكنت من الاطلاع عليها.

وسيظهر جليًا من خلال هذا الكتاب أن دفاع الصحابة عن الشرعية واستعدادهم للموت في سبيل ما يؤمنون به ويعتقدون صوابه، هو السبب الرئيسي الذي جعلهم يجودون بأرواحهم في قتالهم فيما بينهم تمامًا كما جادوا بها في قتالهم لأعدائهم. وهكذا فقد كانت النتائج باهرة عندما كانت قواهم موجهة ضد الأعداء، ومحزنة عندما استشرت الخلافات بينهم ووجهت قواهم إلى قتال بعضهم بعضًا.

وليس عجيبًا أن يكون تاريخ المسلمين كغيرهم من الأمم ذوات الحضارة والأمجاد مليئًا بالصفحات المشرقات. ومن الطبيعي أيضًا أن لا يخلو ذلك التاريخ من صفحات أخرى تعلوها الظلال. وربما كان حادث مقتل عثمان بن عفان الذي اصطلح على تسميته بـ «الفتنة» و «وقعة الجمل» أقتم تلك الصفحات لم لا؟ ومما لا خلاف

فيه، أنّ هذا الحدث المروع كان نقطة تحول في تاريخ المسلمين، بل كان بداية لانهيار لم تظهر آثاره مباشرة بحكم الاستمرار بتلك الدفعة القوية التي ولدها عهد صدر الإسلام السابق لذلك التاريخ...

ومما يزيد تعقيد تلك القضية، أنّ جميع الناس، بمن فيهم المؤرخين والعلماء لم يستطيعوا أن يجزموا بحقائق ما حصل وأسباب ما حدث. فالروايات كثيرة وكلها متضاربة، والرواة ليسوا بالمستوى المطلوب إذا ما وضعوا على مشرحة أهل الجرح والتعديل، لنأخذ رواياتهم كما نأخذ الحديث الصحيح. «إنا نجد معظم أخبار الفتنة ترد عن طريق الواقدي وترد بعض الأخبار عن طريق محمد ابن إسحاق، والواقدي تعرض له أهل الجرح والتعديل... أما محمد بن إسحاق فالمحدثون لا يتهمونه بالكذب، إنما يتهمونه بالتدليس والإرسال، فهو يسقط من بعض الأخبار رجالاً متهمين بالكذب والوضع، فالأخبار التي أوردها عن الفتنة يجب أن لا يؤخذ بها إلا إذا كانت تامة السند، وهي غير تامة.

وورد في الفتنة خبر عن ابن سميع وقد أجمع المحدثون على أنه منكر. وهكذا تستبعد الأخبار التي وردت عن هذا الطريق، وتبقى لدينا رواية شبه كاملة للفتنة وردت في الطبري عن شعيب، عن سيف، عن أربعة مؤرخين هم: «محمد، وطلحة، وأبي حارثة، وأبي عثمان» ومما يحتم الأخذ برواية سيف بن عمر أن في متنها ما يرجحها، فهي الرواية التي يقبلها العقل والمنطق السليم.

ولوكان الصحابة كما يصورهم أولئك المؤرخون، ولو كانت دوافعهم كما يحلو للبعض أن يتخيلوا، إذن لما كان العرب ولما كان الإسلام، ولما كانت حضارة ودولة وعقيدة، إن الأعمال الكبيرة لا ينجزها إلاّ رجال كبار» .

وعن رأيه في نشاط الفئات السرية – السبئية – التي عادت عثمان بن عفان ومن ورائه الإسلام وخرجت عليه ثم قتلته قال المصنف: «في كتب التاريخ روايات مختلفة عن نشاط سري لأفراد وجماعات أظهروا الإسلام وأخفوا دياناتهم القديمة، بغية العمل في صفوف المسلمين على تحطيم الدولة الإسلامية وإفساد المجتمع الإسلامي، ببث العقائد الفاسدة ونشر الفتنة بدوافع دينية وعرقية بعدما عجزت تلك القوى عن مجابهة المسلمين في العلن، كما عجزت شعوبها عن مواجهتهم في ميادين القتال» .

وعن عبدالله بن سبأ وجماعته محركي الفتنة ضد عثمان بن عفان رضي الله عنه قال المصنف:

«عبدالله بن سبأ، الملقب بابن السوداء، وهو يهودي من صنعاء أظهر إسلامه في زمن عثمان بن عفان، اشتهر أكثر من غيره لأنه أسلم متأخرًا، وبدأ نشاطه مباشرة في العراق والشام ومصر، وظهر مع الثوار يرسم خططًا ويدلي بآراء هدامة ذكرها معظم المؤرخين في كتبهم وقد اختلف البحاثة والمؤرخون، الأقدمون منهم والمعاصرون، في دوره وأثره اختلافًا كبيرًا، فمنهم من جعله المحرك الرئيسي للفتنة وصوّره رجلاً رهيبًا على درجة كبيرة من الحنكة والذكاء «مثل سعيد الأفغاني» ومنهم من شك أو أنكر حتى وجوده «مثل طه حسين، وأحمد لواسني».... في نظرنا لا يهم من هو عبدالله بن سبأ ومتى أسلم وأين وكيف بدأ نشاطه. المهم أنه وجد شخص، بل عدة أشخاص، لا تهمنا أسماؤهم بمقدار ما يهمنا الدور الذي لعبوه، كانوا يعملون ضمن مخطط واحد مدروس، لتهديم الدولة الإسلامية من داخلها، وضرب المسلمين في صميم معتقداتهم ... وإذا كان ذلك مما لا يجوز التهويل من شأنه، فكذلك لا تجوز الاستهانة بالدور الذي لعبوه. وسيظهر جليّاً من خلال هذا الكتاب أن أولئك النفر قد لعبوا دورًا مهمًا، كانت توجههم فيه إدارة حسنة، وفقًا لخطة تشبه ما يسمى بالحرب النفسية في العصر الحديث، وذلك ببث الإشاعات وإرسال الرسائل المزورة عن لسان علي وعائشة وطلحة والزبير إلى الأمصار، هذا بالإضافة إلى حملهم السلاح فعلاً وتنظيمهم لحوادث الاغتيال على أعلى المستويات. ويبدو من مراجعة تاريخ الإسلام أن نشاطهم بدأ قبل الفتنة بزمن بعيد، وما قتل الخليفة عمر بن الخطاب سوى عمل مدبّر من تصميم وتنفيذ تلك القوى الحاقدة.

كان من نتيجة كل ما أوردناه من أسباب، أن خرج من أهل مصر ما بين ٦٠٠ إلى ١٠٠٠ شخص متجهين إلى المدينة، ولم يجترئوا أن يعلموا الناس بخروجهم إلى الحرب، وإنما خرجوا كالحجاج ومعهم ابن السوداء. وخرج من أهل الكوفة عدد كعدد أهل مصر، ومثلهم من أهل البصرة. ولما وصل الخبر إلى المدينة استعدوا لقتالهم، فاتصل أهل البصرة بطلحة، وأهل مصر بعلي، وأهل الكوفة بالزبير، فلاقوا صدوداً ورداً واحداً. عندها تظاهروا بالعودة ورجعوا إلى عساكرهم على بُعد ثلاث مراحل حتى إذا تفرق أهل المدينة فجؤوها واحتلوها، واخترعوا الأسباب لعودتهم ، كما سيرد في هذا الكتاب» .

وأشار المصنف، أحمد عرموش، أن أصحاب الفتنة هم أنفسهم الذين لعبوا أهم الأدوار في إبطال محاولات الصلح بين علي وأصحاب الجمل خوف القصاص بدم عثمان فوقعت المعركة في وقت فيه الظروف غير سانحة للتروي والتفكير وتقليب الأمور، فكانت النتيجة مقتل خمسة عشر ألف من الطرفين، فندم الصحابة، المنتصرون والمنهزمون، على السواء وبينهم علي وعائشة رضي الله عنهما، إذ قال كلاهما :

«والله لوددت أني متُّ قبل هذا اليوم بعشرين سنة».

وعن الراوي سيف بن عمر قال المصنف:

«هو سيف بن عمر الضبي الأسدي أو الأسيدي، ويقال التميمي البُرجمي، ويقال السعدي الكوفي، كوفي الأصل، اشتهر وتوفي في بغداد في خلافة الرشيد سنة ٢٠٠هـ ويقال سنة ١٨٠هـ.

جاء في ميزان الاعتدال في ترجمته : (كان إخبارياً عارفًا، روى عنه جبارة بن المغلّس، وأبو معمر القطيعي، والنضر بن حماد العتكي، وجماعة» وجاء في تقريب التهذيب: «سيف بن عمر التميمي، صاحب كتاب الردة. ويقال له الضبي، ويقال غير ذلك، الكوفي، ضعيف في الحديث، عمدة في التاريخ) . له عدة كتب ذكر منها ابن حجر: - الفتوح الكبير - الردة - الجمل وسيرة عائشة وعلي. ويبدو من مراجعة كتب التراجم أن سيفًا لم يكن من رواة الحديث المعتمدين، لكن يُجمع واضعوها على أنه عمدة في التاريخ وأنه كان إخباريًا عارفًا. وقد اعتمد عليه الطبري كثيرًا في تأريخ حوادث صدر الإسلام.

وقيل إنه يتعصب لقبيلة تميم ... روى له الترمذي (فرد حديث)» .

وعن منهجه قال المصنف:

«وبعد مطالعة هذين الموضوعين - مقتل عثمان ووقعة الجمل - في معظم كتب التاريخ القديمة والحديثة، تبين لي أن تاريخ الطبري هو أوفاها موضوعًا وأكملها رواية، وقد اعترف بمنزلته القدماء والمعاصرون، ونقل عنه العلماء والباحثون، فهذا ابن خلدون فيلسوف المؤرخين ينقل عنه حوادث الجمل معللاً اعتماده الكلي عليه بقوله (هذا أمر الجمل ملخصًا من كتاب أبي جعفر الطبري اعتمدناه للوثوق به، ولسلامته من الأهواء الموجودة في كتب ابن قتيبة - أظنه يعني الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة - وغيره من المؤرخين)» .

وقد قابل المصنف روايات سيف بن عمر تلك على كتب التاريخ الأخرى خاصة، البداية والنهاية، والكامل في التاريخ، ونهاية الأرب، وأنساب الأشراف، وتاريخ ابن خلدون، وتاريخ بغداد. وختم المصنف الكتاب بكلمة إطراء لسيف بن عمر بقوله:

«وهذا الكتاب من أقدم الكتب التي تناولت هذه المواضيع، ومؤلفه أكثر مؤرخي تلك الحوادث حياداً وموضوعية، مما جعله المصدر الرئيسي للطبري في تأريخه لحوادث صدر الإسلام» .

قلت : وحيث إن الكتاب بنصوصه مقتبس من تاريخ الطبري فليس لنا حاجة في عرض بعض نصوصه لكثرتها وترابطها مما لا يتيح لنا ذلك في مثل هذه المقالة القصيرة ولكن نحيل القارئ إلى الجزأين الثالث والرابع من تأريخ الطبري ففيهما نصوص هذا الكتاب ونصوص غيره من الرواة. إلاّ أنه تجدر الإشارة والتنويه عن صدور الطبعة الأولى من مخطوطة كتاب سيف بن عمر الضائعة (الردة والفتوح وكتاب الجمل ومسيرة عائشة وعلي) في عام ١٤١٥هـ في ليدن بتحقيق قاسم السامرائي وعلى الرغم من

نقصها عن أصول الطبري إلاّ أن فيها زيادات مهمة لم ترد في الطبري ولا في غيره. وقد أضفى المحقق عليه مقدمة وتعليقات مهمة أيضاً.

منهج سيف بن عمر:

قبل الدخول في عرض منهج سيف في روايته رأيتُ إعطاء نبذة عنه والآراء التي حامت حوله خاصة من قبل أهل الجرح من رجال الحديث.

اختلفوا في نسبه أهو سيف بن عمر الضبي، أو الأسدي، أو الأسيدي التميمي وعندنا أنه أسيّدي تميمي لتكرار هذا النسب عند الطبري مرات. وهو كوفي الأصل عاش غالب حياته ببغداد. ومات سنة ١٨٠هـ وقيل سنة ٢٠٠هـ وهناك قول إنه مات في خلافة الرشيد (١٧٠ – ١٩٣هـ) ولكن في أي هذه السنين فعلمه عند بارئه.

اشتهر سيف أنه إخباري من رجال التاريخ ولكن عنه منقولات في الحديث، لكن هذه الصنعة الأخيرة قد أخضعته لمنهج الجرح والتعديل من قبل بعض أهل الحديث، فنرى الترمذي (ت ٢٧٩هـ) يروي عنه فرد حديث في جامعه[١]، بينما ضعفه النسائي (٢١٥ – ٣٠٣هـ)[٢]، وابن حجر في التقريب[٣] ويحيى وقال عنه: فليس خير منه[٤]. وهو عند الدارقطني[٥] وأبي حاتم[٦]: متروك. وقال فيه ابن عدي[٧]: عامة حديثه منكر. وقال أبو داود[٨]: ليس بشيء. وقد تشدد فيه أبو نعيم (ت ٤٣٠هـ) بقوله: متهم في دينه، مرمي بالزندقة، ساقط الحديث، لاشيء[٩]. واتهمه أيضاً ابن حبان (ت ٣٥٤هـ) بالزندقة[١٠].

بالمقابل من ذلك نرى جمهرة العلماء من نقاد رجال الحديث أمثال البخاري (١٩٤– ٢٥٦هـ) لم يأتوا له على ذكر مما يدل على أنه ليس من المجروحين عندهم، خاصة؛ أن البخاري قريب من زمن سيف بن عمر يضاف إلى ذلك رد ابن حجر على ابن حبان فيه بقوله[١١]: ضعيف في الحديث، عمدة في التاريخ، أفحش ابن حبان القول فيه.

وفي ظني أن أبا نعيم قد أفحش أكثر، فبالإضافة إلى تأخره عن زمن سيف كثيراً فإنه رحمه الله قد أسقط سند روايته خاصة وفيها من التعرض لعقيدة سيف مما يجب التوقف عن ذلك إلا بدليل قاطع. وأرى أبا نعيم قد تَبَنَّى مقولة ابن حبان وهذا لا يكفي هنا.

أما عند المؤرخين فهو عمدة، وقد اعتمد عليه الطبري في تاريخه خاصة في بيعة أبي بكر وأخبار الردة وفتوح أبي بكر وعمر وعثمان وفي مقتل عثمان ومعركة الجمل بين عائشة وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما أجمعين ومن بعد الطبري الذين نقلوا عنه هذه الأخبار من جمهور مؤرخي السنة.

وتوجد روايات سيف بن عمر حسب الطبري في الجزأين الثالث والرابع فيما يتعلق بالردة والفتوح أيام الخلفاء الراشدين الثلاثة الأول.

والمتتبع لروايات سيف تلك لابد أن يلاحظ منهجه فيما يمكن تلخيصه بما يلي:

١ – روى عن أكثر من (١٥٥) من شيوخه ليس فيهم من السبئية (الرافضة) أحد وكلهم معروفون – عدا أربعة رجال أحدهم رجل من بني أسد وآخر مولى لآل طلحة ولكن سندهم معروف.

٢ – غالب روايات الطبري عن سيف عن طريق السري بن يحيى عن شعيب بن إبراهيم التميمي ويعقوب بن إبراهيم الزهري.

٣ – اتصال السند عند سيف في معظم الروايات. مما يطمئن المؤرخين له.

٤ – إنه يروي كثيراً عن أكثر من واحد من شيوخه لتوخي الدقة.

٥ – إنه أكثر الرواة الآخرين موضوعية في أخبار الردة والفتنة والجمل.

٦ – إنه لا يتحامل على أحد، البتة، في مروياته ولا يبالغ في أحد على خلاف مؤرخي

أو رواة الرافضة ومبالغي السنة.

٧ - تأدبه مع الصحابة أثناء نقله ذكرهم وأفعالهم في أخبار بيعة أبي بكر وحروب الردة والفتنة والفتوح فلا هو يبالغ بهم أكثر مما يستحقون، وهو لا ينزل بعضهم عن درجته كما يفعل الرافضة.

٨ - إنه ينفرد عن غيره من المؤرخين في إيراد بعض الروايات في مجاله.

٩ - ومما يؤخذ عليه أنه كثير الإيجاز في سرد الخبر دون تفصيل وتوسع يذكر. وهذا في ظني أنه يتحرى الدقة ويبحث عن (الزبدة) فيه خوف الخلط وهذا منهج معروف عند بعض الرواة.

١٠- كذلك عند المتتبع لرواياته في الطبري ولروايات غيره من - الرافضة أو الخوارج - أنهم لا يأخذون منه ولا عن طريقه، وهذا مما يؤكد سنيته وسلامة مذهبه مع الصحابة أجمعين.

أما الفائدة الأخرى لروايات سيف فيمكن تلخيصها بما يلي:

١- اعتماد الطبري - شبه الكلي - عليه في أخبار بيعة أبي بكر الصديق واعتماده عليه في نقل أخبار الردة وحروبها وقد أوردها سيف بن عمر بكل تجرد وموضوعية مما يصعب فيه وجود مداخل من النقد عليه. واعتماده عليه في نقل أخبار فتوح العراق والشام في عهدي أبي بكر وعمر وسيرة أبي عبيدة وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص والعلاء بن الحضرمي وغيرهم من القواد ولولا سيف في ذلك لطمس هذا التاريخ المهم أو على الأقل لقرئ عن طريق رواة لايمكن الاطمئنان إليهم.

٢- إنه أول إخباري على الإطلاق يكشف السبئية (الرافضة) الذين تمردوا على عثمان فقتلوه مظلوماً لذلك فهو لا ينال رضاهم البتة.

٣- إنه أكثر الرواة المؤرخين موضوعية في نقل أخبار خروج أم المؤمنين عائشة والزبير وطلحة إلى العراق للمطالبة بدم عثمان والقصاص من القتلة وكان علي رضي الله عنه لا يزال في المدينة. ثم معركة الجمل ومثالية علي بن أبي طالب مع خصومه أثناء المعركة وبعدها.

وفي ظني لو سقطت من التاريخ روايات سيف عن تلك الحقبة من بيعة أبي بكر وحتى نهاية معركة الجمل لما بقي أمامنا شيء يذكر من ذلك إلا نتف بروايات آخرين فيها من المبالغات أو الانتقاص الشيء الكثير ولامّحت المواقف المشرقة لأبي بكر وخالد وعمر وعثمان وأم المؤمنين عائشة وعلي بن أبي طالب وما حولهم ومعهم من المجاهدين رضي الله عنهم.

أما الذين يحاولون إسقاط روايات سيف التاريخية من الكتبة المحدثين فإنهم يريدون طمس هذا التأريخ المعول عليه من قبل السنة ليحل محله ما كتبه مخالفوهم.

الهوامش

١ - الفتنة ووقعة الجمل. وكذلك كتاب الضعفاء لأبي نعيم. - دار الثقافة بالدار البيضاء هامش ص ٩١ .

٢ - كتاب الضعفاء والمتروكين للنسائي. دار الوعي بحلب، ص ٥١.

٣ - كتاب الضعفاء لأبي نعيم . هامش ص ٩١.

٤ - كتاب الضعفاء والمتروكين. هامش ص ٥١ نقلاً عن ميزان الاعتدال.

٥ - كتاب الضعفاء لأبي نعيم . هامش ص ٩١.

٦ - كتاب الضعفاء والمتروكين. هامش ص ٥١.

٧ - المصدر نفسه.

٨ - المصدر نفسه.

٩ - كتاب الضعفاء لأبي نعيم. ص ٩١.

١٠- كتاب الضعفاء لأبي نعيم. هامش ص ٩١ وكذلك الضعفاء والمتروكين. هامش ص ٥١.

١١- كتاب الضعفاء لأبي نعيم. هامش ص ٩١ نقلاً عن التقريب.

معجم المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقهاء لنزيه كمال حماد

معجم المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقهاء/ نزيه كمال حماد. - هرندون [الولايات المتحدة الأمريكية] المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م (سلسلة المعاجم والأدلة والكشافات، ٥) . - ٣٠٨ص.

تفرض ظروف العصر الذي يشهد تلاقحًا معرفيًا عالميًا وتداخلاً يصعب تفكيك روابطه ضرورة تبني موقفًا علميًا عربيًا لتقنين المصطلحات للحد من إقحام المفردات الأجنبية في العربية أو إتاحة المجال لكل مترجم صنع مصطلحه الخاص عند الترجمة والنقل إلى العربية التي يُتطلب الإكثار منها لمواجهة قصور الأدبيات العربية في شتى فنون المعرفة وضآلتها في مقابل زخم سوق النشر العالمية بجديد يومي تقذف به المطابع ومصانع الأوعية اللاورقية، ومن هنا فإن أي عمل يدخل في إطار تقنين المصطلح العلمي العربي يعد عملاً أساسيًا يستحق الاهتمام والعون على إشاعته وتوسيع دائرة استخدامه .

ومن الأعمال التي تدخل في هذه الدائرة الحيوية كتاب **«معجم المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقهاء»**، فمع سيطرة الاقتصاد على مجريات الحدث العلمي يصبح السعي العربي نحو الإكثار من الترجمة في هذا المجال مطلبًا استراتيجيًا لتغذية الفكر الاقتصادي العربي وتلقيحه بالمستجدات والطروحات التي أفرزتها وتفرزها أذهان علماء وقادة الاقتصاد الغربيين أو الآسيويين الساعين إلى الدخول في دائرة النهوض من سبات التخلف، واللحاق بركب عالم الحضارة المعاصرة المحورة حول التشييد المادي في أشكاله الفردية المؤدية في نهايتها إلى استرجاع الناتج واستثماره لصالح الإنسان على أرضه .

وهذا الكتاب هو ملتقطات لمصطلحات فقهية اقتصادية جاءت في كتب تراثية ومعاصرة استخدمت في مؤلفات وأعمال سعى نزيه حماد إلى التقاطها، وشرح مقاصدها، وتحديد الأعمال التي استخدمت فيها، وقد يكون من المهم إيراد نموذج من الكتاب حتى يتبين مسار منهجه على وجه الدقة .

● ارْتِفَاق :

مِن معاني الارتفاق لغةً : الاتكاء . وارتفق بالشيء انتفع به . ومرافق الدار : مصابّ الماء ونحوها، كالمطبخ والكنيف .

وفي الاصطلاح الفقهي عرّفه الحنفية بأنه حقّ مقرر على عقار لمنفعة عقار لشخص آخر . وهو عند الشافعية والمالكية والحنابلة : تحصيل منافع تتعلق بالعقار . فالارتفاق عندهم أعمّ منه عند الحنفية، لأن يشمل انتفاع الشخص بالعقار فضلاً عن انتفاع العقار بالعقار .

(المصباح ١/ ٢٧٧، البحر الرائق ٦/ ١٤٨، البهجة شرح التحفة ٢/ ٢٥١، م٣٧ من مرشد الحيران)

● أَرْش :

أصل الأرش في اللغة الفساد، ثم استعمل في نقصان الأعيان، لأنه فسادٌ فيها . والجمع أروش .

أما اصطلاحًا : فهو اسم للمال الواجب في الجباية على ما دون النفس . سُمّي بذلك لأنه جابر لها عمّا حصل فيها من النقص، وعلى ذلك عرّفه الفقهاء بأنه : دية الجراحة .

والأرش عندهم أعمّ من حكومة العدل - التي هي المال الواجب الذي يقدره عدلٌ في جناية ليس فيها مقدارٌ معيّن من المال - لأن يشمل الواجب في جناية جاء فيها نصٌّ بسهم معيّن، والواجب في جناية ليس فيها نصٌّ مقدّر من الشارع . وعلى ذلك فحكومة العدل هي نوعٌ من الأرش .

كذلك يستعمل الفقهاء مصطلح الأرش في البيوع، ويريدون به الفرق بين قيمة المبيع معيبًا وبين قيمته سليمًا من الثمن .

(المصباح ١/ ١٨، المغرب ١/ ٣٥، المطلع ص٢٣٧، تعريفات الجرجاني ص١١، أنيس الفقهاء ص٢٩٥، التعريفات

الفقهية ص١٦٨، طلبة الطلبة ص١٦٦، تبيين الحقائق ٦/ ١٣٣، م٢٠٢ من مجلة الأحكام الشرعية على مذهب أحمد).

والملاحظ من النصين السابقين أن المؤلف سعى إلى استخلاص الكلمة ذات المفهوم الاقتصادي ثم عرف بمعانيها وأعقب ذلك توضيح مفهومها الدلالي الشرعي في الفقه الإسلامي.

ولتوثيق معنى المصطلح وتبيين مصدره ألحق عقب كل مصطلح عناوين المصادر التي ورد فيها، وهي تتراوح بين مصدر واحد كما في تعريفه وشرحه لمصطلح الإرادة المنفردة حيث اعتمد في التقاطه وإثباته في كتابه هذا على كتاب: التصرفات والوقائع الشرعية لمحمد زكي عبدالبر ومصادر قد تصل إلى سبعة أو تزيد، وهو ما نلاحظه في المصادر التي اعتمدها لمصطلح خيَار، وهي: المصباح، والمغرب، والمطلع، وتهذيب الأسماء واللغات، وحلية الفقهاء، والتعريفات الفقهية، والخيار وأثره في العقود؛ ويطول التعريف بالمصطلح وقد يزيد على سطرين كما في مصطلح شركة الإباحة اعتماداً على حركيته وكثرة استخدامه.

ولتيسير استخدام هذا الكتاب رتبه المؤلف ترتيباً ألفبائياً وجعل كل مصطلح على سطر مستقل مطبوع ببنط أكبر باللون الأسود لتمييزه عن التعريف والشرح، وبلغ عدد المصطلحات التي وردت في الكتاب ٥٢٨ من نماذجها: إجارة، إجارة الذمة، إجازة، إخلاف، ادخار، استبضاع، استغلال، اعتياض، إغلال، إخلاس، إيغار، بهرج، تدبير، تدليس، حوالة، الدين الموثق، رهان، ساعي، شبهة، ضرر، عددي، غارم، فاحش، قيمي، الكالئ بالكالئ، المال النامي، مصانعة، مُعاطاة، مواريث، ناجز، نموذج، هلال، واقعة، وصاية، يَسَار، يسير.

ولعل من المفيد أن نقتبس من التقديم الذي كتبه طه جابر العلواني، لهذا الكتاب حيث يقول: «والمعجم الذي بين أيدينا معجم جمع جملة من تعريفات الفقهاء لمصطلحات لم يعد تداولها الآن قاصراً عليهم، بل أصبحت متداولة بين فريق آخر من العلماء هم علماء الاقتصاد. وإذا كانت المصطلحات تمثل مفاتيح للمعرفة التي تتعلق بها، ووسائل لنقل أفكار جرى تركيزها؛ فإن الأقوال الشارحة تعدّ موضوعات لتلك المعاني، ومبيّنات للدلالات التي استقرت لتلك المصطلحات في عقول أصحاب الاصطلاح، فتحديد المصطلحات وبيان معانيها والمراد منها تعتبر مقدمة من مقدمات العلم الأساسية، ووسيلة من وسائل فهم قضاياه، وهي في الوقت ذاته تعتبر مؤشراً مناسباً يدل على حجم التراكمات المعرفية المتوافرة في ذلك العلم. كما أنها تيسر على المهتمين بذلك العلم سُبلَ فهمه وتصور قضاياه الأساسية. وقد تفضل أخونا الدكتور نزيه حماد بتأليف هذا المعجم الذي يعتبر من قبيل الوسائل والأدوات الهامة التي تشتد حاجة الاقتصاديين المتعاملين مع الفقه الإسلامي، والفقهاء المتعاملين مع قضايا الاقتصاد إلى فهمها واستيعابها. والمعاجم - التي من هذا النوع - في منظور إسلامية المعرفة تعتبر من الأدوات الأساسية المساعدة على بناء النسق المفاهيمي في العلوم الاجتماعية التي تؤلف في مجالها، وهي عامل مساعد في إحداث التراكمات المطلوبة وبناء الجسور بين العلوم الاجتماعية المعاصرة وعلومنا التراثية ذات العلاقة بها، ومساعدة علماء الاجتماعيات المعاصرين على تصور تلك المفاهيم والمصطلحات وتحقيق الضبط المطلوب في منهج التعامل معها».

ولاشك أن خبرة معدّ المعجم وثقافته الشرعية ساعدته كثيراً في اختيار المفردات والتعريف بها وتوثيقها، وكتابة كل ذلك بأسلوب سهل مشرق لا يجد القارئ المتخصص، أو العادي صعوبة في تلقيها والتعرف إلى مقاصدها، كما وردت في كتب الفقه ويشعر بإمكان تداولها في مقابل مصطلح أجنبي، أو مصطلح عربي شائع ركيك لا يوفي بالمعنى، وكما ورد في التعريف بمعد هذا المعجم نزيه حماد فقد درس الشريعة في دمشق والقاهرة ودرسها في مكة، وانتظم في عضوية مجمعين فقهيين، وألف جملة من الأعمال ذات الصبغة الشرعية الفقهية، مثل: الحيازة في العقود، ودراسات في أصول المداينات، وعقد الوديعة وغيرها.

الرسائل الجامعية

تحليل الاستشهادات المرجعية لمقالات الدوريات العربية في مجال المكتبات والمعلومات للفترة ما بين عامي ١٤٠٨-١٤١٣هـ

رسالة دكتوراه لعبد الكريم الزيد

الزيد، عبد الكريم بن عبدالرحمن/ تحليل الاستشهادات المرجعية لمقالات الدوريات العربية في مجال المكتبات والمعلومات للفترة ما بين عامي ١٤٠٨-١٤١٣هـ.- رسالة دكتوراه، إشراف أحمد بن علي تمراز.- الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية العلوم الاجتماعية، قسم المكتبات والمعلومات، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في بيان علاقة علم المكتبات والمعلومات بالتخصصات الأخرى وتحديد الاتجاهات المستقبلية لهذا التخصص، حيث يمكن أن تسهم نتائج هذه الدراسة في مساعدة القائمين على إدارة المكتبات ومراكز المعلومات وخدمات الضبط الببليوجرافي لأوعية المعلومات، كما أنها تقدم مؤشرات علمية للقائمين على تنمية المجموعات في المكتبات العربية ومعرفة الكتب والدوريات الأكثر استخداماً في مجال المكتبات والمعلومات.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل مقالات الدوريات العربية في مجال المكتبات والمعلومات، وكذلك تحليل الاستشهادات المرجعية التي وردت في تلك المقالات وذلك من أجل معرفة ما يلي:

١ - قياس نسبة التوزيعات الكمية والنوعية لمقالات الدوريات.

٢ - قياس نسبة التوزيع الموضوعي للمقالات.

٣ - معرفة سمات المؤلفين والباحثين وخصائصهم في مجال المكتبات والمعلومات ومؤهلاتهم العلمية والأكاديمية وخلفياتهم المهنية وجنسياتهم والهيئات التي ينتمون إليها.

٤ - قياس نسبة التوزيعات الكمية واللغوية والجغرافية والموضوعية للاستشهادات المرجعية.

٥ - معدل استخدام أوعية المعلومات من لدن الباحثين في مجال المكتبات والمعلومات.

٦ - مدى اعتماد تخصص المكتبات والمعلومات على التخصصات الأخرى أو ما يسمى بقياس نسبة التشتت الموضوعي.

٧ - قياس نسبة التقادم ومنتصف العمر لأوعية المعلومات في مجال المكتبات والمعلومات.

٨ - معرفة الدوريات الأساسية (العربية والأجنبية)، وقياس نسبة ما هو موجود منها في مكتبتي جامعة الملك سعود وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٩ - الخروج بمجموعة من المقترحات والتوصيات التي يمكن أن تسهم في تطوير تخصص المكتبات والمعلومات.

حدود الدراسة:

تم تحديد سبع من الدوريات العربية المتخصصة في مجال المكتبات والمعلومات وهي:

١ - رسالة المكتبة.- الأردن: جمعية المكتبات الأردنية، فصلية.

٢ - صحيفة المكتبة.- القاهرة: جمعية المكتبات المدرسية، ثلاثة أعداد في السنة.

٣ - عالم الكتب.- الرياض: دار ثقيف للنشر والتأليف، كل شهرين.

٤ - المجلة العربية للمعلومات.- تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، نصف سنوية.

٥ - حولية المكتبات والمعلومات.- الرياض: قسم المكتبات والمعلومات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، سنوية.

٦ - الإدارة العامة.- الرياض: معهد الإدارة العامة، فصلية.

٧ - مجلة المكتبات والمعلومات العربية.- الرياض: دار المريخ، فصلية.

حيث اشتمل مجتمع الدراسة على جميع الأعداد التي نشرت من شهر المحرم ١٤٠٨هـ، الموافق سبتمبر ١٩٨٧م إلى شهر ذي الحجة ١٤١٣هـ الموافق يولية ١٩٩٣م.

وبذلك يتكون مجتمع الدراسة من سبع دوريات تمثل ١٣٠ عدداً، احتوت هذه الأعداد على ٣٠٥ مقالات تحتوي

على ٦٤٦٩ استشهاداً مرجعياً. تمت دراسة تلك المقالات والاستشهادات الواردة فيها وفقًا لمحورين رئيسين:

المحور الأول: تحليل مقالات الدوريات بهدف التعرف على توزيعها الكمي والنوعي والموضوعي، وكذلك التعرف إلى سمات المؤلفين وخصائصهم.

المحور الثاني: تحليل الاستشهادات المرجعية بهدف معرفة التشتت الكمي والنوعي والموضوعي والزمني واللغوي والجغرافي لتلك الاستشهادات، وكذلك معرفة الدوريات الأساسية في مجال المكتبات والمعلومات.

وكل هذين المحورين يحتوي على عدد من العناصر والمتغيرات.

تم اختيار هذه الدوريات من بين الدوريات العربية وفقًا لمجموعة من المعايير لعل من أبرزها:

١- استمرارية الدورية في الصدور.

٢- قيمة الدورية العلمية المتمثلة في احتوائها على مقالات وبحوث متخصصة تتضمن استشهادات مرجعية.

٣- نتائج الدراسات السابقة لتحديد الدوريات الأكثر استخدامًا من لدن المتخصصين في المجال.

فصول الدراسة:

تحتوي الدراسة على خمسة فصول: حيث يمثل الفصلان الأول والثاني الجانب النظري من الدراسة فيما يمثل الفصلان الثالث والرابع الجانب التطبيقي من الدراسة. أما الفصل الخامس فيتضمن خاتمة بأبرز النتائج والتوصيات. يتضمن الفصل الأول مشكلة الدراسة وأسئلة الدراسة وأهمية الدراسة وتحديد أهداف الدراسة وبيان حدود الدراسة والمصطلحات المستخدمة في الدراسة وكذلك توضيح المنهج الذي تم تطبيقه في هذه الدراسة. وفي الفصل الثاني تم استعراض الدراسات السابقة، حيث تم التركيز على الدراسات الرائدة المتخصصة في تحليل الاستشهادات المرجعية لمقالات الدوريات في مجال المكتبات والمعلومات، حيث تم استعراض الدراسات الحديثة من عام ١٤٠٠ إلى عام ١٤١٥هـ فقط. وفي الفصل الثالث تم عرض نتائج تحليل مقالات الدوريات وفقًا للعناصر التالية:

العنصر الأول: التوزيع الكمي للمقالات.

العنصر الثاني: التوزيع الموضوعي للمقالات.

العنصر الثالث: سمات المؤلفين وخصائصهم.

وفي الفصل الرابع تم عرض نتائج الاستشهادات المرجعية وفقًا للعناصر التالية:

العنصر الأول: التوزيع الكمي والنوعي للاستشهادات المرجعية.

العنصر الثاني: التشتت النوعي لأوعية المعلومات المستشهد بها.

العنصر الثالث: التشتت الموضوعي للاستشهادات المرجعية.

العنصر الرابع: التوزيع اللغوي للاستشهادات المرجعية.

العنصر الخامس: التوزيع الزمني للاستشهادات المرجعية.

العنصر السادس: التوزيع الجغرافي للاستشهادات المرجعية.

العنصر السابع: الهيئات الناشرة للاستشهادات المرجعية.

العنصر الثامن: التشتت النوعي والموضوعي للدوريات المستشهد بها.

العنصر التاسع: التشتت النوعي والموضوعي للكتب المستشهد بها.

وفي الفصل الخامس تم عرض نتائج الدراسة والتوصيات التي توصل إليها الباحث وفقًا لنتائج الدراسة.

توصلت الدراسة إلى العديد من النتائج، لعل من أبرزها ما يلي:

١ - بلغ متوسط المقالات في الدوريات العربية ٢,٣٥ مقالة في العدد الواحد، وكانت نسبة المقالات المترجمة في الدوريات العربية ٤١,٨٪، أما نسبة المقالات التي نشرت باللغة الإنجليزية فلم تتجاوز ٦,٩١٪ من مجموع المقالات.

٢ - غالبية المؤلفين العرب في المجال يوثقون معلوماتهم، حيث بلغت نسبة المقالات التي لا تحتوي على استشهادات مرجعية ١٣,١١٪ من مجموع المقالات.

٣ - استحوذت موضوعات خدمات المعلومات وخدمات المستفيدين، وكذلك دراسات المكتبات والمعلومات على اهتمام المؤلفين في المجال.

٤ - توصلت الدراسة إلى أن إنتاجية المؤلفين في المجال منخفضة، حيث لم يتجاوز معدل المقالات عن مقالتين لكل مؤلف. كما توصلت الدراسة إلى عدم تطابق قانون لوتكا لقياس إنتاجية المؤلفين العرب، علماً أن الصيغة المعدلة لهذا القانون قد توافقت إلى حدٍ ما مع إنتاجية المؤلفين العرب.

٥ - غالبية المسهمين في الإنتاج الفكري هم من الحاصلين على درجة الدكتوراه، ومعظمهم ينتمون إلى الجامعات، ومن حيث جنسياتهم فالغالبية من المصريين ثم الأردنيين والسعوديين على التوالي.

٦ – بلغ متوسط الاستشهاد في المقال الواحد ٢١,٢١.

٧ – غالبية الاستشهادات المرجعية من الاستشهادات الصريحة، حيث لم تتجاوز نسبة الاستشهادت الضمنية ١٪.

٨ – نسبة المقالات التي تحتوي على استشهادات ذاتية للمؤلف كانت معتدلة ، حيث لم تتجاوز ٢٥٪ من مجموع المقالات.

٩ – نسبة الاستشهاد الذاتي للمؤلف لم تتجاوز ٣,٢٣٪ من مجموع الاستشهادات، أما نسبة استشهاد المجلة بالأعمال السابقة المنشورة فيها فلم تتجاوز ٢٪ من مجموع الاستشهادات.

١٠– أكثر المؤلفين العرب المستشهد بأعمالهم هم محمد فتحي عبدالهادي وحشمت قاسم وأحمد بدر ومن الأجانب Allen Kent و Harold Lancour.

١١– نقص بيانات الوصف البيليوجرافي للاستشهادات المرجعية، حيث تصل نسبة الاستشهادات التي تحتوي على نقص ١٦٪، أغلبها في حقلي الناشر وتاريخ النشر.

١٢– تمثل الكتب غالبية الأوعية المستشهد بها، حيث تصل نسبتها إلى ٦٠,٥٧٪، تليها مقالات الدوريات بنسبة ٢٦,٨٢٪، كما أن هناك زيادة سنوية في الاعتماد على مقالات الدوريات.

١٣– ارتفاع نسبة التشتت الموضوعي في مجال المكتبات والمعلومات، أو ما يسمى باعتماد التخصص على التخصصات الأخرى بلغ ٢٩,٨٨٪، وكانت العلوم الاجتماعية في صدارة الموضوعات التي يعتمد عليها تخصص المكتبات والمعلومات.

١٤– تناقص نسبة التشتت الموضوعي خلال الفترة الزمنية للدراسة، حيث بلغت في السنة الأولى من الدراسة ٣٣,٦٤٪ ثم انخفضت النسبة إلى ٢٥,٥٣٪ في السنة الأخيرة من الدراسة.

١٥– أغلب الموضوعات التي تم الاعتماد عليها من داخل التخصص هي خدمات المعلومات ودراسات المكتبات والمعلومات والخدمات الفنية.

١٦– استحوذت اللغة العربية على ٥٥,٨٥٪ من اللغات التي تم الاستشهاد بها، تليها اللغة الإنجليزية بنسبة ٤٣,١٦٪ من مجموع الاستشهادات. أما باقي اللغات فلم تتجاوز نسبتها ١٪ من مجموع المصادر التي تم الاستشهاد بها. كما توصلت الدراسة إلى أن الاعتماد على مصادر المعلومات المنشورة باللغة الإنجليزية في تزايد مستمر.

١٧– استحوذ التأليف الفردي على غالبية الاستشهادات، بينما لم تتجاوز نسبة الاستشهاد بالأعمال مشتركة التأليف ٧,١٦٪.

١٨– اعتمد المؤلفون على مصادر المعلومات القديمة أكثر من الحديثة، حيث لم تتجاوز نسبة الاعتماد على الأوعية المنشورة خلال السنوات الخمس الأخيرة عن ٢٤٪ من مجموع الاستشهادات. أما منتصف العمر لأوعية المعلومات في مجال المكتبات والمعلومات فقد بلغ ١٢,٥ سنة.

١٩– تصدرت أمريكا أماكن نشر الأوعية المستشهد بها، تليها مصر، ثم بريطانيا والمملكة العربية السعودية، كما توصلت الدراسة إلى وجود علاقة بين مكان وصدور الدورية وأماكن نشر الاستشهادات المرجعية الواردة فيها.

٢٠– استحوذ النشر التجاري على غالبية الأوعية المستشهد بها، حيث بلغت نسبته ٧٠٪، وتصدرت دار المريخ دور النشر التجارية، ثم المنظمات والهيئات والجمعيات بنسبة ١٥٪، وقد تصدر هذا القطاع منظمة اليونسكو UNESCO، أما النشر الجامعي فلم تتجاوز نسبته ٩٪، وقد تصدرت جامعة القاهرة هذا القطاع وجاء النشر الحكومي بنسبة ٤٪ فقط.

٢١– بلغ مجموع الدوريات المستشهد بها ٢٣١ دورية، تمثل الدوريات الأجنبية منها ٧٠٪، وغالبية تلك الدوريات من المتخصصة في المجال، وقد تصدرت مجلة المكتبات والمعلومات العربية الدوريات العربية فيما تصدرت مجلة Library Trends الدوريات الأجنبية.

٢٢– بتطبيق قانون برادفور للتشتت من أجل تحديد الدوريات الأساسية في مجال المكتبات والمعلومات، تبين وجود عشر دوريات، نصفها من الدوريات العربية والنصف الآخر من الدوريات الأجنبية يمكن عدها الدوريات الأساسية في تخصص المكتبات والمعلومات.

٢٣– بلغ مجموع الكتب المستشهد بها ٧٤٧ كتاباً، كانت الصدارة فيها للكتب الصادرة بالإنجليزية والكتب المترجمة منها. وبلغت نسبة الاستشهاد بكتب التراث ١٧٪ من مجموع الكتب المستشهد بها.